

جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام
والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام
ويليه :

التوسلات المدنية

تأليف :
الشيخ الحاج مختار بن الحاج أحمد باشا

جمع هذه النسخة ورتبها :

ابن حرجو الجاوي

غفر الله تعالى له ولوالديه ولأجداده ولشايخه ولجميع المسلمين

جلا. الاوهام . عن مذاهب الاثمة العظام . والتوسل
بجاه خير الانام عليه الصلاة والسلام
ويليه التوسلات المذنيه

تأليف الفقير الراجي عفو الرعيم الغفار . خادم العلماء والفقراء
الحاج مختار . بن المرحوم الحاج احمد بلخا للمؤيد العظيم
عفى الله عنهما وهما
آمين

قلت متوسلا
بحق نبي قد جعلت شعاره * عبودية اعتنق من النار
بجرمة (مختار) لي اخترت اسمه * الحبي في الناجين تبجل ذمري
آمين

الطبعة الأولى على نفقة المؤلف

في غرة رجب سنة ١٣٣٠

طبع في (مطبعة النبلاء) في دمشق

﴿فهرس جلاء الاوهام﴾

صحيفه

- ٠٢ توجيه كلام الى المقصودين
- ٠٤ المذهب الوهابي ومؤسسه
- ٠٥ شروط الدخول فيه
- ٠٦ اصوله والمكفرات من عقائدهم
- ٠٩ المسئلة الاولى في الاجتهاد
- ٠٩ الفصل الاول في الإجماع
- ١٣ ذكر بعض آحوال مجتهدى زماننا
- ١٤ الفصل الثاني في اسباب اختلاف الائمة
- ١٥ اركان الشرع
- ١٧ فصل السبب الاول من رسالة ابن تيمية
- ٢٦ الفصل الثالث في الاجتهاد
- ٢٦ مقدمة في وجوب الخلافة
- ٣٠ البحث الاول في تعريف الاجتهاد
- ٣١ البحث الثاني في جوازه
- ٣٢ وصية سيدنا عمر لشرى
- ٣٣ البحث الثالث فيما يجب على المجتهد معرفته

صحيحه

- ٣٨ البحث الرابع في التلقيق
٤٢ البحث الخامس في ترجمة الائمة الاربعة
٤٤ احتجاج القائلين بالاجتهاد والرد عليهم
٥٢ المسئلة الثانية في التوسل والزيارة
٥٣ البحث الاول في حياة الرسول والشهداء
٥٤ الكلام في حياة الشهداء
٥٩ قول الصوفية في عالم الارواح
٦٠ كلام في ترجيح احدى الحياتين
٦٩ البحث الثاني في زيارة
٧١ مذهب ابن تيمية والرد عليه
٧٧ الدعاء للمدينة والبركة فيها
٨٠ فصل في زيارة القبور
٨١ البحث الثالث في التوسل
٩٠ البحث الرابع في الاستغفار
٩٠ سؤآل هل جاء في القرآن والحديث
٩١ الجواب عنه
٩٦ البحث الخامس في الصلاة على الرسول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رضي الاسلام لنا ديناً . وأكمل لنا واثم نعمته علينا .
واقامنا على سنة رسوله النقية السمحاء . جداً تستير به القلوب . وتستضيئ
منه البصائر . واشهد ان لا اله الا الله الهادي الى الصراط المستقيم . القائل
(من استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) واشهد ان سيدنا
ونبينا محمداً افضل المرسلين وخاتم الانبياء . ارسله الله رحمةً للعالمين . ووسيلةً
للذين اتوا بعده . وخصه بدوام رسالته بعد وفاته وبقاء دينه الى يوم القيامة
وظهوره على كل دين . صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه وعلماؤه ائمة الدين
قاموا بنصر شريعته وجاهدوا اهل البدع والضلال . بسيف سنته . فآثروا
الله بعزته . ورد كيد اعدائه بغيرهم . صلاة وسلاماً اتخذها زخراً ليوم الدين .
(اما بعد) ايها الاخوان المتأقبون (بالمتنورين) اراكم تدعون الناس
ببدعة الاجتهاد في الدين وغيرها من البدع التي جرت دعائيل قبلكم الى مالا
نرضاها لكم . زين لهم الشيطان اعمالهم فظنوا انهم من المهتدين .
نحن وانتم متفقون بالشهادتين مقرون بالاركان لا تختلف باصول الايمان . ولا
تتكراركان الاسلام . غير اننا نقول بالحكم ونرجع اليه . وانتم تتبعون
المتشابه وتعملون عليه . نحن نختاط بما لا يرتاب . وانتم لا تخرجون مما
يريب . نحن نتمم الاجماع والجماعة . وانتم نترخصون بالانفراد والتأويل
بالرأي . فتم بعد ان ذهب الله برعماء تلك المذاهب والفعل . وانتشرت بعد

ان طوى دعات تلك البدع . تدعون الناس لما لا يفهمهم في الدنيا ولا فيهمهم في الآخرة تخلطون لهم الحق بالباطل والظن باليقين . تحرفون الكلم عن مواضعه . تقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله تتادونهم ارجعوا الى الدين وانتم عنه ابعد . تأمرون بالبر وتنسون انفسكم . تقولون بافواهكم ما ليس في قلوبكم . ترسلون دعاءا بنجسام انسانية وارواح شيطانية يوسوسون لائنانس عاشوا في جهل . او قاموا حديثا من مهد . ما عرفوا من الدين الا الاسم . وما نظروا . من العلم الا الرسم . فيزينون لهم غرورا . ويغنونهم شرورا . والله لا يصلح عمل المفسدين .

ذكرت آتفا اتفاقكم معنا على اركان الدين . وبينت وجوه الاختلاف بيننا ولا ريب ان دعواكم الرجوع لما كان عليه السلف يلائمكم الاقرار بان السلف كانوا على الكتاب والسنة ونحن على غيرها . فاسئلكم من هم السلف . فان قلتم الصحابة رضى الله عنهم فيها كوا كتب ائمتنا ارونا اي حكم او قول فيها غير مأخوذ اصله عنهم . وان قلتم التابعون فهذه اسانيد ائمتنا كلها . مأخوذة عن الثقات منهم . وان قلتم غيرهم فايئنا لنا من هم . واما قولكم مغالطة للجهال ان هذا الشيء ما قاله السلف او ما فعلوه وان الدين كان واحدا فعملوه اربعة فهذا انقراء منكم عليهم بدون دليل بل قول منشوره الجهل والحسد والعبادة وسيترون ان شاء الله . من ادلة ابطاله واسقاطه ما لم يكن لكم بحساب . وحيث لا حاجة لاحاطة البحث في فروع مذهبكم

فأكتفي بالبحث في مسئلتى الاجتهاد والتوسل وما يتعلق بهما . وحيث
لهاتين المسئلتين علاقة بمذهب الوهاية فالتقصي تقديم بيان فيه ليرى الناس
ما بين مذهبكم ومذهبهم من التشابه

== المذهب الوهابي ==

كان الناس في اختباط وتردد من حقيقة مذهب الوهاية ومقولاتهم
بسبب ما كانوا يستترون به من مظاهر التوحيد وإدعاء التمسك بالكتاب
والسنة حتى طفوا وبنوا وتغلبوا على الحجاز وناظرهم العلماء فكشف الله السر
عنهم وسلط عليهم ابراهيم باشا المصري فكاد يفتنهم ويقطع دابرهم لكن الله
ارادة في بقاء جرنومة من هذه الطائفة في بلاد نجد . وقد تصدى لتحرير
مذهبهم وتقرير مقولاتهم والرد عليهم جمهور من علماء الحجاز منهم السيد
احمد بن زين الملقب بالاحلان نزىل مكة المكرمة المتوفى في المدينة المنورة
سنة (١٣٠٣) وبسط ذلك في تاريخه المسمى « خلاصة الكلام في امراء
الهد الحرام » وانا ان شاء الله اخذ عنه ما يتعلق بموضوعنا مختصرا بدون
تصرف وبالله المستعان .

ومن اعجب ما رأيت انتساب اناس لهذا المذهب حماقة وجهلاً ولو
عرفوا حقيقة واحولته لتبرؤا منه وقالوا كما تقول « اسلام ووهاية لا يجتمعان »

== مؤسس هذا المذهب ==

هو محمد بن عبد الوهاب النجدي من يمامة نجد . ولد في سنة (١١٢١)

هجريّة ومات في سنة (١٢٠٧) كان أبوه عالماً فاضلاً ورعاً وكان يتفرس في ابنه هذا الشقاوة . فإرساله إلى مسكنة ثم إلى المدينة المنورة لطلب العلم فطلب وحصل وأخذ عن كثير من علماء الحرمين وكلهم كانوا يتفرسون فيه الشقاوة ويحذرون الناس منه . وكان يميل لمطالعة أخبار من أدعوا النبوة ويحكم هذا الفكر في نفسه .

فلما مات أبوه في نحو سنة (١١٤٣) ابتداء باظهار مذهبه حتى سنة (١١٥١) فأشهر أمره وأظهر دعوته وعقيدته في نجد وأطرافها فقام بنصرته وأظهار عقيدته (محمد بن مسعود) أمير الدرعية الذي مازال أولاده يعيشون فساداً في نجد فقبل الناس على متابعتهم واتباع مذهبه فحول اللعين من بلده ونزل على ابن مسعود في الدرعية وما زال نسله فيها إلى الآن ويقبض « بأولاد الشيخ » وكان يُسمي جماعته من أهل بلده « الانصار » ويُسمي من يتبعه من غيرهم « المهاجرين » . فلما مات قام بالدعوة ابنه عبد الله . فلما مات قام ابنه سليمان بن عبد الله فقتله إبراهيم باشا سنة (١٢٣٢) . ومن قصدى للرد على محمد المذكور ومناظرته أخوه سليمان بن عبد الوهاب حتى خاف منه فهاجر إلى المدينة المنورة .

وما ظفر اللعين وأولاده بأحد ممن رد عليهم الاقتلوه . وأفرطوا في قتل العلماء سبياً في مدة استيلائهم على الحرمين . وكانوا إذا جاءهم من يزيد اتباعهم أسروه بأن يشهد على نفسه وعلى أبويه أنهم كانوا مشركين وإن الناس

كلهم منذ ستائة سنة على شرك . ويأمرونه بلعن جماعة من العلماء والاشراف
يسمونهم له . فان فعل قبلوه واقتنوه مذهبهم وامروه باعادة حجه ان كل حج
قبلا لانه حج على طريقة المشركين . وان امتنع عن هذه الامور قتلوه .
فالقاصم عليهم لا يخلص من الموت الا بالكفر :

ونهبوا الحجرة الشريفة واخذوا كل ما فيها فاستعاد ابراهيم باشا ما وجد .
عندهم واعاده للعجرة وقد ما كانوا اعطوه لاتباعهم . وكانوا يتأولون في تكفير
المسلمين آيات نزلت في حق المشركين . يفسرونها لاتباعهم بما يتطرب
على مذهبهم .

« اصول مذهبهم »

قال الشيخ رحمه الله . كانوا يستترون بالدعوة الى التوحيد وما هم منه
على شيء . ويدعون الانساب الى مذهب الامام احمد بن حنبل وهو بري
منهم . يصرحون بتكفير كل من يخالف مذهبهم وان المسلمين كلهم مشركون
ويستحلون دم كل مسلم وماله وعرضه ويصرحون بان لا ايمان الا باتباعهم .
ولا يتحاشون من الطعن بالرسول عليه الصلاة والسلام بكل بذاة . ومن
قواعد مذهبهم واصوله التي لاخلاف بين المسلمين بانها من المكفرات
(اولا) قولهم ان الله ارسل محمدا وانزل عليه القرآن ليبلغه للناس وما اذن
له بان يشرع للناس اشياء من عنده . فالدين كله في القرآن وكلما جاء في
الحديث ويسميه المسلمون سنة واجبة فهو باطل ولا يبرز التبعد والعمل به

(ثانياً) قولهم حيث ان محمداً بلغ القرآن ومات فعند نزول اُخر اية من القرآن انتهت رسالة محمد واستطعت عنه حقوق الرسالة . وهذا معنى تسميته (طارشاً) ومعناه عندهم (مرسل جاء برسالة فيبلغها وذهب) فبالا هلاقة للناس فيه والالتفات اليه شرك (ثالثاً) قولهم ان الرسل والانبياء كسائر الناس لا فرق ولا تفاضل بينهم (رابعاً) اقوالهم البذء في حقه عليه الصلاة والسلام (منها) قولهم ان العصا خير من محمد . لانها ينتفع بها ومحمد قد مات فاي نفع منه . ويحظرون الصلاة والتسليم عليه ولو في التشهد ويقولون انه شرك بالله ويقتلون من يلفظ بها . (ومنها) قولهم ان الربابة في بيت الزانية اقل اثماً من الصلاة والتسليم على محمد . واحرقوا كل ما وقع يدهم من نسخ دلائل الخيرات والصلوات والادعية وكتب التفسير والفقه وكتب الائمة الاربعة وغيرهم .

قال رحمه الله . زعم هؤلاء الكفرة انهم اخذوا الدين من القرآن العظيم لكنهم في الحقيقة نبذوه كما نبذوا غيره لانهم اباحوا لكل انسان منهم تفسيره بما يريد وان يعمل بما يفهم منه . واطلقوا لاتباعهم الارادة في الحكم بين الناس برائهم . وحظروا الدعاء بعد الصلاة وقالوا انه بدعة . وقالوا عن الائمة واتباعهم انهم ضلوا واضلوا حيث كانت الشريعة واحدة فجعلوها اربعة . وفي كل جمعة يقول الخطيب ان كل من يتوسل بالرسول محمد يكفر . ويتلو قول الله تعالى « ما تعبدكم الا ليقرّبونا الى الله زلفى » وكانوا اذا ظفروا

بالعائدين من زيادة الرسول عليه الصلاة والسلام يعلقون لحام ويركبونهم
مقلوبين ويشهرونهم .

والحديث راثيسهم كان يسند مذهبه وكل ما يدعيه الى الوحي .
ومن مذهبهم القول بالتجسم للباري جل وعلا وقرروه في دروسهم
ولم يقطعوا بالرسول والانبياء والاولياء تنفر منها النفوس .
وفي مدة تسلطهم على الحرمين نبشوا قبور آل البيت والصحابية ودثروها .
وقالوا ان لافرق بين الرسل والانبياء وسائر الناس بل كل رسول ونبي
كسائر الناس . انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

« قلت » ترى في اصول هذا المذهب كثيراً من المكفورات باجماع
المسلمين ومخالفتها للنص (الاول) حصر الدين في القرآن العظيم وحجود ما
جاءت به السنة (الثاني) قولهم بسقوط احكام الرسالة واقطاعها (الثالث)
جعلهم الرسل والانبياء كسائر الناس والظن بهم (الرابع) تكفيرهم كل من
خالفهم في مذهبهم من المسلمين (الخامس) استباحة دماء المسلمين عموماً
والعلماء خصوصاً وجعل قتلهم من الدين . ولو اطلعت على ما فعلوه مراراً
بالحرمين والحجاج والزوار والدماء التي سفكوها في الحرم المكي وفي
عرفات لوجدته اعظم واقبح من اعمال القرامطة والنتر . فاني لمسلم ان يحسب
بين الاسلام وبين عقائد هذا المذهب . هل يمكن الجمع بين الكفر والايان .
« فانتبه » ايها الغافل الذي اغراك الشيطان على انتسابك او اعتقادك

بمذهب اشد كفرًا من الوثنية وانت لاتعرف من فروعه فضلًا عن اصوله شيئًا . بل غاية علمك منه انه كذهب الصحابة والتابعين يوسع للمسلم الاخذ من الكتاب والسنة بدون ان يتقيد بقول امام او عالم وانت تحبب انك تحسن صنعًا . فلو هداك الله للوقوف على اصوله وفروعه وترجمة حال اهله ونبذ هوى النفس لوجدت نفسك على شفى ج. ف من الكفر من حيث لاتدري . فاننا لله وانا اليه راجعون .

ولتراجع الى المقصود من هذه الرسالة وبالله الانشعانة

(- المسئلة الاولى في الاجتهاد -)

قد بين لك مما تقدم ان من اصول الوهابين اباحة التعبد بالاجتهاد بشرط الاستنباط من القرآن العظيم فقط وانكار الاجماع الذي المنه عنه علماءنا اصلاً من الاصول التي بُنِي عليها الاحكام . وحيث ان هذا الاصل من اصول مذهب دعاة الاجتهاد في هذا الزمان فايضاحاً لقساد قولهم هذا اكلام ان شاء الله عن كل فرع منه على حدة .

(- الفصل الاول في الاجماع -)

قال في متمام التعريف (الاجماع اتفاق المجتهدين من امه محمد عليه الصلاه والسلام في عصر على حكم شرعي والمراد بالاتفاق الاثبات في القول او القعل) انتهى

قال ، ابن نجيم في الاشباه (القاعدة السادسة . العادة محكمة . واصحابها

قوله عليه الصلاة والسلام (بارآة المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ومما لا ينفذ القضاء به ما اذا قضى بشي مخالف للاجماع . وما خالف الأئمة الاربعة مخالف للاجماع وان كان فيه خلاف لغيرهم . لأن الاجماع انعقد على عدم العمل بمذهب مخالف للاربعة لانضباط مذاهبهم وانتشارها) انتهى قال الشيخ عبد الغني التابلسي رحمه الله في المتصد الاول من كتابه (خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلقيق) مانصه . اعلم ان مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وتابع التابعين كثيرة لا تكاد تنحصر عدداً وكلها اجتهادات استوفت الشروط ولا يجوز الطعن في شي منها . قال الشيخ عبد الرووف المناوي في شرح الجامع الصغير (يجب علينا ان نعتقد ان الأئمة الاربعة والسفيانين والاوزاعي وداود وسحاق وسائر الأئمة على هدس) اه وفي جمع الجوامع وشرح المحلى مثل ذلك . واما تقليد مذهب غير المذاهب الاربعة فلا يجوز ليس لتقصان في مذاهبهم ورجحان المذاهب الاربعة بل لعدم تدوين مذاهبهم وعدم معرفتنا الآن بشروطها وقيودها وعدم وصول ذلك الينا بطريق التواتر قال المناوي في كتابه المذكور (لا يجوز تقليد الصحابة ولا التابعين كما قال امام الحرمين ايضاً من كل من لم يدون مذهبه . فيمتنع تقليد غير الأئمة الاربعة لان المذاهب الاربعة انتشرت وتحررت بخلاف غيرهم لا تقراض اتباعهم . انتهى

فهذا كلام حبر من علماء الظاهر والباطن عن اجلة من علماء الدين .

فأني يؤفك الضالون .

روى الشعرا في كشف النعمة بسنده عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الاسلام من عنقه) اهـ

فنحن اهل السنة والجماعة اعتمدنا على ما بلغنا عن رسولنا الذي لا ينطق عن الهوى ان اجماعتنا مقبول وحسن عند الله تعالى فلا نبالي بمن يخالفنا . اما الوهابية واخوانهم الذين سؤل لهم الشيطان التكبر عن الائمة العظام وافاضل العلماء كما سؤل له نفسه التكبر على آدم عليه السلام . وزين لهم صدم التقيد بمذهب من مذاهب اهل السنة والخروج من بينهم كما هو خرج من بين الملائكة . وراؤا ان المخالفة تخرجهم من الاجماع والخروج من الاجماع يدخلهم تحت خلع ربة الاسلام عمدوا للكآبة والمغالطة بانكار الاجماع . فزعموا ان الاجماع غير حاصل بل غير ممكن واستدلوا على زعمهم بما بين الائمة الاربع من الاختلاف وزعموا ان الاجماع لا يصح الا بان لا يوجد بوقت ما وعصر ما اختلاف بين اثنين في الحكم المجمع عليه . وهذا لم يكن قط فالاجماع لم يكن قط . فهذا ما سمعته من كثير منهم . فقلت لبعض علمائهم ان هذا القول يتناول القرآن العظيم من وجه اختلاف الفرائض قال لا اصريح بعدم توفر شروط التواتر لكي اقول فيه نظرفقلت اعوذ بالله من هذا الغلو . اي نظرف ياعدو نفسه في تواتر القرآن المحفوظ باللفظ والحرف والاداء بالرواية الصحيحة في صدر

لا أقل من ألف ألف حافظ . فأتاكم الله على هذا التحمل البارد والاعتساف
السخيف والاستدلال القاسد . فإذا كان هذا التعليل قاعدة مذهبكم فقد
خرجتم من الدين كله . لأنكم إما أن تقولوا بوجوب الإجماع في الأصول
فقط . وإما في الأصول والفروع معاً . وإما في الفروع فقط . فإن قلتم
سنة الأصول فقط فهو حاصل عند جميع الفرق الإسلامية لاختلاف
بينهم بكافة شروطه فتعطلتكم ساقط . وإن قلتم في الأصول والفروع معاً فهذا
خلاف إرادة الله تعالى برفع الحرج عنا . لأن رفع الحرج لم يكن باختلاف
أصول الدين . كلا . فهذا ما قاله مسلم قط . بل رفع الحرج كان باختلاف
الفروع المأخوذ كله عن الشارع كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

ثم لو كشف الله عن قلوبكم دين الضلال لظهر لكم الحق فرأيتم أن
مصدر اختلاف علماء الصحابة والتابعين والائمة كان من جهتين (أحدهما)
الرواية فيما جاء عن الشارع (وثانيهما) القياس فيما لم يأت به شيء عن
الشارع . فاما (الاول) فكل ما جاء به حق وصدق لامتناع كذب الصحابة
على الشارع وهذا هو الذي فيه رفع الحرج . واما (الثاني) اعني القياس
فهو أيضاً من رفع الحرج لأنه لو منع لوقع لوقع اشد الحرج في الحكم في الحوادث
التي لأنص باعيانها . وهذا باب لا يمكن سده بوجه الأمة مادامت الحوادث
تتبدل وما احد ممن توقرت فيه شروطه قال بمنعه . وهذا معنى قولهم تتبدل
الاحكام بتبدل الزمان . ينون القياس في الفروع لافي الأصول . وكل

ي قلب طاهر وعقل سليم يعلم يقينا ان اختلاف الائمة في بعض الفروع
 لا يجوز جعله حجة على (ان الدين كان واحداً بفعلوه اربعة) ولو جاز هذا
 لقول لعدي الى الصحابة رضي الله عنهم لان الاختلاف بينهم في بعض
 الفروع ثابت بالتواتر بل يستطرد للرسول عليه الصلاة والسلام . وهذا كفر يتبرأ
 لمسلمون منه . ولو نصحتكم انفسكم لعرفتم ان الاجماع الذي انعم الله به علينا
 معشر اهل السنة لم يكن مثله لامة من الامم او لعلمة من العُلَماء . ففمن اهل
 السنة البالغ عددها نحو مائتين وخمسين مليوناً منتشرين في كل جهة من كورة
 الارض لم نزل متفقين على اخذ اصول ديننا وفروعه عن الائمة الاربعة العظام
 وبواسطتهم الى نبينا عليه الصلاة والسلام لا فرق في تصديق روايتهم
 واخلاص مقاصدهم وبرائة ذمتهم بين علمائنا وعوامنا . ولو ان سائل سأل
 كل فرد منا عن امامه وجمع اجوبتهم لما وجد بينهم واحداً ينسب الى امام
 خامس . فاي اجماع من عهد آدم الى الآن اعظم من هذا الاجماع الذي لا
 يحاول انكاره الا من ران على قلبه وختم الله على بصره وسمعه . لكن الاسف
 المضحك انكم شريعة قليلة وما زلتم في اختلاف في اصول مذهبكم . فبعضكم
 يجعل الصلاة والوضوء والاعطسال وصوم رمضان اختياراً غير واجب واخوانه
 ينكرون عليه . وبعضكم يرى طهارة الخمر وابطاحتها وحل الموقودة والخنزير
 واخوانه ينكرون ذلك . وبعضكم يقول باستباحة التيمم بلا هذر . وبعضكم
 سيقتل قتل النفس لسبب يراه مباحاً له . وامثال هذه الموقفات التي لو

صرحت باسماء القائلين بها لظهور للناس تعاقبهم في الدين وسبأني ان شاء الله تعالى في المباحث الآتية ما يثبت الوهاية واخوانهم ويضرب اقاويلهم بعرض الحائط . وقد بسط الفخر الرازي مسألة الاجماع في تفسير قوله تعالى في سورة النساء « واولي الامر منكم » ومما قاله مانصه « قد دللنا على ان قوله « واولي الامر منكم » يدل على ان الاجماع حجة . فنقول كما انه دل على هذا الاصل فكذلك دل على مسائل كثيرة من فروع القول بالاجماع ومن نذكر بعضاً . وذكر بعضها فقال « ومنها الفرع الثاني الذي محصله ان الاجماع الحاصل عقيب الخلاف الواقع بين الائمة . يبيح حجة ولا تأثير للاختلاف فيه » اه فهذا اجماعنا على ائمتنا وهذا ما ندين الله به ونافق عليه ان شاء الله تعالى .

﴿ الفصل الثاني في اسباب اختلاف الائمة ﴾

تقدم قبلاً قول الوهاية واخوانهم بان الدين كان واحداً والائمة جعلوه اربعة . ولا جرم ان كل متفقه في الدين يعلم ان هذا القول كذب واقتراء على الدين والائمة وتضليل للناس . بل هم الذين جعلوه شاغراً مباحاً لكل عالم وجاهل ان يتعبد ويعامل كما يشاء ويرى لادليل له الارائيه واستنباطه . فقل لي بعمرك هل سمعت ان في الدنيا هكذا دين فاما من دين ولا مذهب الا وله اصول وفروع محررة يرجع اليها اهله حتى الماديين ما اطلقوا القول ان يشاء بل لهم اصول يرجعون اليها . فاي ضلال وفساد اقم من هذا الاطلاق فانهم الله انى يؤفكون . والحق اليقين ان كلا من الصميمة

والتابعين والائمة الاربعة وسائر المجتهدين آخذ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام كما سترى بيانه ان شاء الله الا ما كان بالقياس وهذا ايضا بقاعدته وشروطه يرجع الى ما صرح عن رسوله الله صلى الله عليه وسلم .

فانما علمت هذا . فاعلم ان الشرع عندنا مبني على ثلاثة اركان وهي (الاصول) و (الفروع) و (القياس) (فالاصول) كلها عن كتاب الله تعالى (والفروع) كلها عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي بيان للاصول ودليله قوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) وقوله تعالى (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) . وهذا خبر وزي بالنص والعقل . ولم يبين الله على لسان رسوله ما جاء في القرآن من الاحكام مجمل او النص فيه متشابه او الاسماء مشتركة لكان الدين على غاية من التشويش . ولا يصح عليه وصف الكمال واتمام النعمة . لاننا في الارقان الثلاثة فضلا عن غيرها تقع في اختباط . فالقرآن العظيم ما صرح لنا بعدد اوقات الصلاة واسماؤها وعدد ركوعها وسجودها وتشهدها الى آخره . ولا بتصابيات الزكاة وما يتعلق بها . ولا باكثر مناسك الحج وما يتعلق به . ولا باكثر واجبات التعامل . فلو ان السنة انت بتفاصيلها لكان الدين العوبة بيد العلماء والامراء كما هو الحال في اكثر الاديان . فالتنكب عن السنة والاعتناء على ما يفهم من القرآن فقط تنكبنا عن الدين بل خرجنا منه . ولا يقوله الا احمق لا يعرف من

الدين شيئاً أو كافر يستتر بالدين وما هو منه على شيء .
 (وأما القياس) فبعض أرباب البدع أنكره لكن جمهور الأمة على القول والعمل به . وأصله عن اجتهد علماء الصحابة فيما لم يعلموا فيه نصاً . ثم اتبعهم به التابعون والأئمة المجتهدون على قاعدته وشرطه . ثم بعد قرن الأئمة وظهور البدع والتعل اضاف العلماء للاركان الثلاثة ركناً رابعاً وهو (الاجماع) وهذا أيضاً اقتبسوه من حديث (مارأه المسلمون حسناً) .
 وقاعدة القياس عندهم معلومة ويرجعون فيها يختلفون فيه إلى ما صح عن أكثر علماء الصحابة .
 وأعلم ان الاختلاف في الفروع والقياس ليس من محدثات الأئمة الأربعة . بل هو واقع من زمن الصحابة وكان يقع بينهم ذلك في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام فيراجعونه فيما يختلفون فيه . وبعد وفاته كانوا يرجعون فيه إلى العلماء منهم . وهكذا كان حال التابعين .
 وهذه حقائق مستفاد من مذكرة في مواضعها من كتب الحديث والتفسير والأصول ومطولات الفقه المعتمد عليها عند أهل الدين . وجوادتها وامثالها أكثر من ان تجمع ولا يجهلها إلا العاوي الاحق .
 فمن هداه الله في دينه وأرشده لما ينجي به يوفقه لتتبع كتب علماء الدين فيرى الحق ظاهراً كالشمس . وأما من أضله الله واشغاه فيفصب على مطالعة كتب أهل البدع والمذلات ويتلقى أضاليلهم كحقائق ثابتة فيعيش العوابة

بد هوائه وسخرية بالدين اهل الدين ويموت هالكاً للنار والعباذ بالله تعالى

﴿ فصل ﴾

الف الأمام نقي الدين احمد بن تيمية رسالة سماها (رفع الملام عن
لائمة الاعلام) ذكر في اولها عشرة اسباب لاختلاف الائمة في بعض الفروع
يذكر لكل سبب امثلة مما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم . وحيث ان
لسبب الاول كاف لما نحن بصدده انقله بنصه .

قل وبعد فيجب على المسلمين بعد موالات الله وموالات رسوله موالات
المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء الذينهم ورثة الانبياء الذين
جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر . وقد اجمع المسلمون
على هدايتهم ودرابتهم . فهم خلفاء الرسول في امته والمهيون لسنة . بهم
قام الكتاب وبه قاموا . . بهم نطق الكتاب . به نطقوا . ولعلم انه ليس
احد من الائمة المقبولين عند الامة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل . فانهم متفقون اتفاقاً يقينياً
على وجوب اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى ان كل احد من الناس
يؤخذ من قوله ويترك الا رسول صلى الله عليه وسلم . ولكن اذا وجد لواحد
منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد ان له عذر في تركه .
وبجميع الاعذار ثلاثة اقسام (احدها) عدم اعتقاده ان النبي صلى الله عليه
وسلم قاله (والثاني) عدم اعتقاده ارادة تلك المسئلة بذلك القول (والثالث

اعتقاده ان ذلك الحكم منسوخ . وهذه الاصناف الثلاثة تنفرع الى اسباب متعددة .

(السبب الاول) ان لا يكون الحديث قد بلغه ومن لم يبلغه الحديث لا يكلف ان يكون عالماً به . واذا لم يكن قد بلغه وقد قال في تلك القضية بموجب ظاهر آية او حديث آخر او ببيان او استحباب فتد يوافق ذلك الحديث ويخالفه أخرى . وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من اقوال السلف مخالفاً لبعض الاحاديث . فان الاحاطة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الائمة . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحدث او يقضي او يفعل الشيء فسمعه او يراه من يكون حاضراً ويبلغه او اثنك او بعضهم لمن يبلغونه فينتهي علم ذلك الى من يشاء الله من العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . ثم في مجلس آخر يحدث او يقضي او يفعل او يفعل اشياء ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن امكنهم فيكون عند هؤلاء من العلم ما ليس عند هؤلاء . وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء . وانما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم بكثرة العلم وحيثه . واما احاطة واحد بجميع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم او اعماله فهذا لا يمكن اذ عارضة قط . واعتبر ذلك بالخلفاء الراشدين الذين هم اعلم الامة بامور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته واحواله خصوصاً الصديق رضي الله عنه الذي لم يكن يفارقه حضراً ولا سافراً بل كاذ يكون

معهُ في غالب الاوقات حتى انه يسمر عده بالليل في امور المسلمين . وكذلك .
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول (دخلت
 انا وابوبكر وعمر وخرجت انا وابوبكر وعمر) ثم مع ذلك لما سئل ابو بكر
 عن ميراث الجدة قال للسائل مالك في كتاب الله من شيء وما علمت لك
 في سنة رسول الله من شيء ولكن اسئل الناس . فسئلهم فقام المغيرة بن
 شعبه ومحمد بن مسلمة فشهدا ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها السدس
 وقد بلغ هذه السنة عمران بن حصين ايضاً . وليس هو لاه الثلاثة مثل ابي
 بكر وغيره من الخلفاء ونراهم قد اختصروا بعلم هذه السنة التي قد انقضت
 الامة على العمل بها . وكذلك عمر لم يكن يعلم سنة الاستئذان حتى اخبره
 بها ابو موسى واستشهد بالانصار . وعمر اعلم من حديثه بهذه السنة . ولم
 يكن عمر ايضاً يعلم ان المرأة ترث من دية زوجها بل يرى ان الدية للعاقلة
 حتى كتب اليه الشجاعة بن سفيان وهو امير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 على بعض البزادي يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث امرأة
 اسم الصباني من دية زوجها فترك عمر رأيه لذلك وقال لو لم نسمع بهذا
 لقضينا بخلافه . ولم يكن يعلم حكم المحوس في الجزية حتى اخبره عبدالرحمن بن
 عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (سنوا بهرسة اهل الكتاب) .
 ولما قدم سرخ وبلغه ان الطاعون بالاسام استشار المهاجرين ثم الانصار ولم
 يخبره احد بسنة حتى قدم عبدالرحمن بن عوف فاستخبره بسنة رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإنه قال (إذا وقع بارض وائتم بها فلا تخرجوا فراراً منه .
وإذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه) . وكذا عمر وابن عباس ما كنا يعرفنا
السنة فحين يشك في صلاته حتى أخبرهما عبدالرحمن بن عوف .
فهذه مواضع لم يبلغها عمر حتى يبلغه إياها من ليس مثله ومواضع أخر
لم يبلغه ما فيها من السنة ففرض فيها أو افترى فيها بغير ذلك . مثل ما قضى في
دية الأصابع أنها مختلفة بحسب منافعها وقد كان عند أبي موسى وابن عباس
وهما دونه بكثير في العلم علم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (هذه وهذه
سواء) يعني الإبهام والخنصر . فبلغت هذه السنة لمعاوية في إمارته ففرض
بها ولم يجد المسلمون بداً من اتباع ذلك . ولم يكن عيباً في عمر حيث لم تبلغه
هذه الأحاديث . وكذلك كان ينهي المحرم عن التطيب قبل الإحرام وقبل
الافاضة إلى مكة بعد رمي جرة العقبة . وكذا ابنه عبد الله وغيرهما من أهل
الفضل حتى بلغهم حديث عائشة رضي الله عنها أنها ظلمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحرمة قبل أن يحرم ولخله قبل أن يطوف . وكان عمر يأمر
لأبس الخف أن يسمح عليه إلى أن يبلغه من غير توقيت واتبه على ذلك
طائفة من السلف ولم تبلغهم أحاديث التوقيت التي صححت عند بعض من ليس
مثله في العلم . وكذلك عثمان لم يكن عنده علم بأن المتوفي زوجها تعتد في
بيت الموت حتى حدثته (القرينة) بنت مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لها (امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله) فآخذ به عثمان . وما كان

يعلم ان المحرم لا يأكل ما صيد لاجله حتى اخبره علي رضي الله عنه . وكذلك
 علي وابن عباس وغيرهما افتوا بان الذنوفى عنها اذا كانت حاملا تعتد ابعد
 الاجلين ولم يكن بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتي « سبعة »
 الاسلية بان عدتها وضع حملها . « قلت » مع ان هذا الحكم نص في سورة
 الطلاق فلعلهم كانوا يعتقدون بسخه « وافتي علي وزيد وابن عمر بان
 المفوضة اذا مات عنها زوجها فلا مهر لها . ولم تكن بلغتهم سنة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في « بروج » بنت واشق . وهذا باب واسع يبلغ المنقول
 منه عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدداً كثيراً جداً . واما
 المنقول منه عن غيرهم فلا يمكن الاحاطة به . فهو لاء كانوا اعلم الامة
 وافتقها وانماها وافضلها فمن بعدهم انتقص ثم انتقص ثم انتقص بخفاء بعض السنة
 عليه اولى ثم اولى ثم اولى . وهذا امر بدسيي لايحتاج الى بيان فمن اعتقد ان
 كل حديث صحيح قد بلغ كل واحد من الائمة او اماماً معيناً فهو مخفي خطأ
 فاحشاً . ولا يقولون قائل ان الاحاديث قد دوت وجمعت فحفاها بعيد .
 فهذه الدواوين المشهورة في السنن انما جمعت بعد وفاة الائمة المبوعين .
 ومع هذا فلا يجوز ان يدعى انحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في دواوين معينة . ثم لو فرض انحصاره فليس كل ما في الكتب يعلمه العالم
 ولا يكاد ذلك يحصل لاحد . قد يكون عند الرجل الدواوين الكثير وهو
 لا يحيط بما فيها . بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين كانوا اعلم بالسنة

من المتأخرين بكثير لأن كثيراً مما بانهم وصح عندهم لم يبلغ من بعدهم إلا عن مجهول أو بسناد منقطع أو لم يبلغهم بالكلية . أما ثم فكانت دورهم صدورهم التي تحتوي أضعاف مافي هذه الدواوين . وهذا امر لا يشك فيه عالم . ولا يقولون قائل ان من لم يعرف الاحاديث كلها لم يكن مجتهدا . لأنه ان اشترط في المجتهد علمه بجميع ما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفعله فيما يتعلق بالاحكام فليس في الامة مجتهد . وانما غاية العلم ان يعلم جمهور ذلك بحيث لا يخفى عليه الا القليل من التفصيل ثم قد يخالف ذلك القليل من التفصيل الذي يبلغه . انتهى

فانظر رحمك الله اذا كانت حال الخلفاء الراشدين واجلاء الصحابة رضي الله عنهم على ما سمعت وشهادة من عشر شهادات من امام جليل متندي به عند السادة الخناينة عموماً والرهابين واتباعهم خصوصاً فاي حماقة اقبح من التعتب على الائمة باختلافهم في بعض فروع . هاكموا اصحاب الحديث الستة المجمع على قبولهم فانظروا ما ينهين من الاختلاف ولو جمعتموه لوجدتموه فوق الثلث او نحوه .

رأيت في شرح الزرقاني لموطاء الامام مالك مئات من المسائل المختلف فيها بين الصحابة وكثير منها كان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما هذا الا لاسباب مختلفة « منها » الذي تقدم في كلام الشيخ ابن تيمية من عدم بلوغ الحديث لكل منهم « ومنها التسميع » فقد كان ينزل الحكم في

من المتأخرين بكثير لأن كثيراً مما بانهم وصح عندهم لم يبلغ من بعدهم إلا عن مجهول أو باسناد منقطع أو لم يبلغهم بالكيفية . أما ثم فكانت دورهم صدورهم التي تحتوي اضعاف مافي هذه الدواوين . وهذا امر لا يشك فيه عالم . ولا يقولون قائل ان من لم يعرف الاحاديث كلها لم يكن مجتهداً . لأنه ان اشترط في المجتهد علمه بجميع ما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفعله فيما يتعلق بالاحكام فليس في الامة مجتهد . وإنما غاية العلم ان يعلم جمهور ذلك بحيث لا يخفى عليه الا القليل من التفصيل ثم قد يخالف ذلك القليل من التفصيل الذي يبلغه . انتهى

فانظر رحمك الله اذا كانت حال الخلفاء الراشدين واجلاء الصحابة رضي الله عنهم على ما سمعت وشهانة من عرشه انات من امام جليل متمدي به عند السادة الختابة عمومًا والوهابين واتباعهم خصوصاً فاي حماقة اقبح من التعنت على الائمة باختلافهم في بعض فروع . هاكموا اصحاب الحديث الستة المجمع على قبولهم فانظروا ما ينهين من الاختلاف ولو جمعته لوجدتوه فوق الثلث او نحوه .

رأيت في شرح ائرفاني لموطاء الامام مالك مئات من المسائل المختلف فيها بين الصحابة وكثير منها كان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما هذا الا لاسباب مختلفة « منها » الذي تقدم في كلام الشيخ ابن تيمية من عدم بلوغ الحديث لكل منهم « ومنها النسخ » فقد كان ينزل الحكم في

رجع عن كثير من أقواله . والمتفق عليه عند السادة الشافعية والمالكية ان
الامام الشافعي كان يعتمد مطلق صحة الحديث . والامام مالك كان يعتمد
صحة الحديث ان اتفق مع ما عليه العمل في المدينة . ولنا تجده يذكر في الموطأ
الحديث المعتمد . عنده ويردفه بقوله وهذا ما عليه عندنا . او في المدينة .
فهل يحتاج صدر مؤمن ان احداً منهم خائف غيره لغرض دينوي .
بل كل مؤمن يعتقد يقيناً ان وجبة كل منهم ومقصده تحري الحق والصواب
في الدين ابتغاء رضا الله وحفظ شرعه وعليه جازاهم الله تعالى بجمع قلوب
الامة على محبتهم والاخذ عنهم الا من اتبع هواه فأضلله الله واشقاه .
تأمل بفكر طهره الله من اقذار الهوى الحرج الذي كان يلحق الامة
والاهمال الذي كانت تقع فيه لو انحصرت في مذهب واحد . والقوضى التي
كانت تقع في الدين لو اطلق الرأي لكل انسان بما يفهم من الكتاب والسنة
وبما يجتهد فيه .

لا يرتاب ذو عقل سليم ان اختلاف الائمة في العبادات والمعاملات
كان فضلاً من الله تعالى على هذه الامة الكريمة بالتوسعة عليها اولاً على
لسان الرسول عليه الصلاة والسلام ثم بتوفيق هؤلاء الائمة لتدوينه ليستم
وعده تعالى بقوله « وما جعل عليكم في الدين من حرج » فالحمد لله على
احسانه وفضله .

يزعم هؤلاء الفضالون ان ابن تيمية افق بجواز الاجتهاد والاخذ من غير

لائمة الاربعة . فاقول نعم قال ابن تيمية في الرسالة المذكورة بجواز الاجتهاد
 الاخذ عن غير الائمة الاربعة لكنه بكافة كتبه ومباحثه يصرح باتباعه
 اعتماد على مذهب الامام احمد . ثم تجده قيد التمييز بشروط سياقي بينها
 عليها ما توفرت فيه وفي اقرانه فضلا عن علماء زماننا . ثم قال في آخر الرسالة
 المذكورة مانصه « واعلم ان سيد اتباع الائمة هي التي يجب سلوكها ومسا
 سواها فهو اقبح من اقوال الخوارج والمعتزلة وغيرهم من اهل الضلال » انتهى
 فهذا كلام امامكم بنصه . ولا جرم انكم عالمون بما كان عليه من الحق
 والانصاف لكن الشيطان اغراكم على اتهامه بما هو بريء منه .

وليس هذا الامام وحده انصف من نفسه بل جميع اجلاء علماء اهل
 السنة كانوا وما زالوا على هذا الهدى وهذا الصراط المستقيم . فان قلت ان
 هذا هو الاعتقاد الاثماني . قلت كلا يا جاهل . ان الاعتقاد الاثماني هو
 ان لا تسئل عن الدليل . بل الذين جعلوا دينهم اثميا وقفوا عند تحريم
 طلب الدليل منهم بل حرموا على اتباعهم مطالعة الكتب الدينية لئلا يكونوا على
 عماه تام . وديننا يتبرأ من هذا ولا يمنعك من السؤل عن الدليل بل الكتاب
 والسنة يدعيانك الى ان تكون على بصيرة من دينك . لم تر ان ديننا . جب
 على كل مسلم طلب العلم . وهل طالب العلم يكون جاهلا بادلة امامه . كلا .
 فاذا اين الاثم الذي يوسوسة لكم من هو قاعدة دينهم ومدار دينهم .
 وناهيك ما جاء بفضل حملة القرآن والأمر بتدبره ليدرك المسلم ما فيه

من الأدلة والاحكام الدينية . فإين هذا واين الالتزام فهما على طرفي نقيض .
ثم اذا تأملت بانصاف وجدت علاننا ما قالوا قولاً بدون دليل ترجع عندهم
وهذا صريح في كتبهم فاي حرج عليك اذا احدثت يهدي من شئت
منهم بشرط نبذ الهوى وتكب اللغيق فكنت على صراط الحق المبين
وبالله المستعان .

﴿ الفصل الثالث في الاجتهاد وفيه مقدمة ومباحث ﴾

﴿ المقدمة ﴾

اتفق حكماء العلماء وعلماء الحكماء على ان الانسان مدني بالطبع . بمعنى
انه لا يصح عليه تعريف الانسانية اذا لم يكن مدنيا . لان الانسان من كونه
افضل مخلوق كان مشروطاً عليه بن يراي ما به صار انساناً . ولا يتم ذلك
له ذلك الا بامر ين لازمين متلازمين وهما « العلم الحق » « والعمل الحق »
ولنا الحق تعالى شبه من ليسوا كذلك بالانعام تارة وفضل الانعام عليهم
تارة . وبتدر ما يكون عند الانسان من هذين المعينين يكون فاضلاً عن غيره .
وبهذا تفاضل الناس فكانوا شبه وقوف على درجات سلم فمنهم من صعد الى
اعلا درجاته وهي درجة النبوة ثم الأ . في فالأدنى حتى اسفل درجاته فكان
في آخر درجات الانسانية واول درجات الحيوانية . بل من الناس من ينزل
الى أدنى من ذلك فيكون دون بعض الحيوان والامر من الشيطان . وبهذا
المعنى قول الكامل عليه الصلاة والسلام « الناس كأبل مائة لا تكاد تجد

فيما راحلة . ولفظ « ال » في تعارف العرب اسم آلة بغير . فمئة ابل هي عشرة الآف بغير . والراحلة الناقة او الجمل الصالح للركوب . فهذا بيان لان المعنى الانساني لا يوجد الا في افراد خصهم الله به .

وعليه اجمع علوانا على ان النبوة لا تدخل تحت معاني الكسب ولا تحصل به . فاننا عرفت تعريف الانسان الأبي او نقول المدي وتفاوت درجات الانسانية ارشدك نور البصيرة لمعرفة ان الله تعالى ما خلق الناس ليكونوا فوضي اعني ان تكون وظائف الوجود واعمال الهيئة الاجتماعية عامة مشتركة بين افرادهم . فلو كان ذلك لما كان من معني للتفاضل الوارد بالنص والمحكم به . له تل انه بخلق الله وتخصيصه لاصنع ولا كسب فيه للمخلوق كالتفاضل بالمقر والزكاة والحفظ وما اشبه ذلك . ولو اراد الله ترك الناس وشأنهم كل يفعل ما يريد ويتصرف كما يشاء ما كان انزل الشرائع ولا اوجب على خلائقه ضبطها واقامة حدودها وتنفيذ احكامها كما فرض على الناس اطاعتهم والالتقياد اليهم في دائرة الشريعة وضمن حدودها . فكل هذه المعاني تدل على ان الله تعالى اوجد هذا التفاضل اله تليم الذي لا يوجد مثله في غير الانسان ليكون لكل فرد من المجموع البشري وظيفة يتم بها في الهيئة الاجتماعية لا يتعداها . وهذا التامرس وان كان موجوداً في سائر الحيوان وفي النبات لكنه ليس هو كما في الانسان . ومن الضلال البعيد والفساد الظاهر اطلاق معنى « تنازع البقاء » فتنازع البقاء ليس مطلقاً بل هو

محصور في دائرة لا يتعداها ومحيط به ناموسان « ناموس النوع » و « ناموس
القابلية والاستعداد » . فمن الهال انقلاب الشعور لحظة والحفظ بطيخاً
مهما تنازعا . وهكذا الانسان لكن هذا التعدي بالتنازع قد ينتج فناً المتنازعين
معاً وقد يكون سبباً لفناء المنازع فقط لكونه خالف الناموس الآلي وتعدي
عما خصه الله به من وظائف الهيئة الاجتماعية .

تدبر وتبصر توارخ الامم يحكم لك بان ما من امة علت وسادت الا
باخذها بهذا الناموس ولا سقطت او اندثرت الا بهذا الناموس . فمن
الهال نجاح امة تثقل وظائفها الاجتماعية بأيدي طبقاتها عن غير قابلية ولا
اهلية ولا استعداد فطري سيما ان ناموس وراثته الاخلاق ثابت بالنص
والعقل والحسن .

قال الله تعالى « أم يسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات لنتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » .

« اما الانسان » الذي جعله الله اكرم مخلوقاته وجمع فيه من بدائع الخلق
ما لم يجمعه في مخلوق غيره . وسخر له ما في الارض وارشده لاستخدام ما في
السماء قد خصه ايضاً بخاصة ما اشرك بها معه غيره وبأخرى اشرك معه بها
الملائكة والجن . (فاما الاولى) فاستخلافه في الارض لاستعمارها (والثانية)
عبادته تعالى ومعرفة بما يليق بذاته العلية وما يجب له (فالاولى) المشار اليها
بقوله تعالى للملائكة (اني جاعل في الارض خليفة) و (الثانية) المشار اليها

بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) . وما لا يرتاب فيه
 ذو عقل سليم ان كلا من هذين الأمرين لا يتم انتظامه الا بواسطة علماء
 يقومون بتنظيمه وانقائه . فكما ان الاستعمار لا يتم انتظامه ولا تحصل فوائده
 الا بواسطة علماء عالمين به فكذلك الأمر الثاني لا يتم انتظامه ولا يحصل
 المقصود منه الا بواسطة علماء عالمين فيه . فرأس علماء الأمرين هم الرسل
 والانبياء عليهم السلام ثم خلفاءهم الذين قاموا على اثرهم وتلقوا عنهم ثم
 بضرورة الزمان تفرد كل وظيفة عن اختها فتصير سياسية ودينية (فالاولى)
 تأخذ امامة الخلافة وحقوقها واما صفة الملك (والثانية) تأخذ صفة الوراثة
 وحقوقها . ومن المحال شرعاً وعقلاً الحصول على احد الوظيفتين او كليهما
 بارادة وسعي بل الواجب المعطي المختار يرشح من يشاء لما يشاء (قل اللهم
 ملك الملك تؤتي الملك من تشاء) ولو جاز ذلك بالارادة والسعي لكان كل
 عالم اماماً وكل ذي قوة سلطاناً .

وحيث ان شرعنا ربط اكثر الاحكام الشرعية وتنفيذها بالحاكم السياسي
 وحظر عليهم الخروج عن الشرع فصارت الخلافة السياسية والخلافة الدينية
 واجبتى الرجوع لارتباط الاولى وثقيدها بما يقرره ويحكم به علماء الدين .
 فاذا تدبرت هذه المقدمات المقتصرة علمت يقيناً ان الائمة الاربعة واصحابهم
 ما اتحلوا لوراثة والامامة ليتصدروا في المجالس او يتأهلوا على الناس بل
 اخذوها بحق أهلهم الله تعالى له .

ثم اهل السنة من الأمة في انظار الارض ما اجمعوا على اتباعهم تزلنا
لجاههم 'وانفعا بسلطنتهم وهم قد صاروا في عالم الاموات بل عن يقين
بصدق مذاهبهم واخلاصهم لله تعالى في عملهم ومقاصدهم وضرورة حصر
الامة في مذاهب مقرر مدونة متواترة كيلا يكون الدين تعبدًا وتعاملًا
فوضي . هذا مع تحقيق عجز من كانوا في عصرهم ومن جاؤا بعدهم عن تحصيل
ما حصلوه وتحيص ما محصوره مع قرب اولئك العلماء الاجلاء في الزمان
ومساعدة الزمان لهم . فأتى لمن جاؤا بعد قرون عَمَّ فيها الجهل واعمى حب
الدنيا البصائر ان يتكبروا عن المذاهب الأربعة ويتأهلوا لاحداث مذهب
خامس . فلعمري الحق ما هي الا اخلاط عشواء وفضلة سواه فلا حول
ولا قوة الا بالله .

﴿ البحث الاول في تعريف الاجتهاد ﴾

قال الجوهرى (الاجتهاد بذل الوسع والجهود) فهذا تعريفه لغة . اما
تعريفه شرعاً . قال الشعراوى في البواقيت قال الشيخ محي الدين في الباب
(٣٨٠) من الفتوحات بعد كلام (وقد دل هذا على ان المراد بالاجتهاد الذي
ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد في طلب الدليل على نفس
الحكم في المسئلة الواقعة ليس في تشريع حكم في النازلة من قبل نفس المجتهد
فان ذلك شرع لم يأذن به الله) انتهى
وقال في لليزان الصغير (ان الاجتهاد استنباط فرع من اصل اما بدليل

صریح واما بتیاس صحیح . مستند الى علة في المناس موجودة في المناس عليه
واما بطريق المفهوم علی اصول اللغة ولا معنى الاجتهاد غير هذا . لأن
الاخذ بالحكم من الكتاب والثابت الصريح من السنة ليس فيه معنى الاجتهاد
بل هو اخذ من الكتاب او السنة (انتهى

فانظر بين الانصاف الفرق البعيد بين تعريف الاجتهاد عند علماءنا
وحقيقته و بين دعوى من انه عملوا لانفسهم لقب الاجتهاد بمجرد اسناد مسألة
لآية او لحديث وسموه اجتهاداً لان انظر الاجتهاد انهم وانظر في مسامع
قرنائهم واتباعهم من لفظ الاسناد .

﴿ البحث الثاني في جوازه ﴾

قال الشيرازي رحمه الله في البحث التاسع والاربعين من اليواقيت قال
علي الخواص (ما قلنا قولاً الا واصله بجهل في الكتاب او السنة ولولا ذلك
ما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم (لتبين للناس ما نزل اليهم) بل كان
يكتفي بتبينه القرآن من غير بيان . فلما نال عليه الصلاة والسلام عن الله
تعالى في تفصيل ما اجمله الله في القرآن نال المجتهدون عنه في تفصيل ما
اجمله في كلامه) اهـ

ثم قال بعد كلام . فان قلت فما دليل المجتهدين في استنباط الاحكام .
قلت دليلهم قوله عليه الصلاة والسلام (من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها الحديث . فان قلت هل يجوز لاحد الطعن في قول

مجتهد . قلت ' لا يجوز لان الشارع قد قرر حكم المجتهد قصار شرعاً لله بتقريره
اياه . فمن خطأ، مجتهداً بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكماً . وهذه
مسئلة يقع في مخطورها كثير من اصحاب المذاهب . ثم قال قال الشيخ محي الدين
في الباب (٣٦٩) من الفتوحات بعد كلام طويل في مدح الائمة المجتهدين
(ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة وذلك لانه صلى الله عليه وسلم
أباح لهم الاجتهاد وذلك تشريع عن امر الشارع فكل مجتهد مصيب من
حيث تشريعه بالاجتهاد كما ان كل نبي معصوم)

ثم قال قال الشيخ محي الدين في الباب (٣٨٠) قال الله لبيبه عليه الصلاة
والسلام (لتعلم بين الناس بما اراك الله) اي ما يوحى به اليك لا ما تراه من
رأيتك . فلو كان الدين بالرأي لكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولى من كل رأي . وما تقدم من كلامنا عن الاجتهاد هو فيما لم يكن فيه
نص عن الشارع اما ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد ابداً . ولا سيدل لاحد
الى مخالفته ولو قدر ان مجتهداً خالف النص باجتهاده جرم علينا العمل
بقوله . انتهى

روي البيهقي في سنة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولي شريجة
التقصاء قال له انظر فما تبين لك في كتاب الله صريحاً فلا تسئل عنه احداً
وما لم تبين لك في كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم
وما لم تبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك وان شئت فامرني ولا ارجح

مرتك إياي الاسلام لك . اهـ

فانظر هذا الخليفة العالم الجليل كيف رتب لشرح الذي كان من افراد
الماء ايضاً طريقة الافتاء والقضاء . وعلى هذه الطريقة سلك العلماء من
ابوين ثم الائمة المجتهدين . وربما كان احدهم يجوب البلاد ويسئل من يلقي
ن العلماء ليقف على الحق في مسألة ما . وكانت علومهم في صدورهم ليست
بالكتب . وما منهم من دون مذهب عن كتاب بل كلهم نعماً حفظوه
ب صدورهم . فالامام مالك رضي الله عنه حفظ ماة الف حديث باسانيدها
بل ان كتب موطأه المعلوم . والامام الشافعي رضي الله عنه حينما
جمع من العراق وجاء المدينة المنورة اجلسه الامام مالك موضعه واذن له
التحديث اورد اربعة حديث في مسألة واحدة وشرحها . فهو لاء الرجال
لذين اجمعت الامة على الأخذ عنهم ليسوا ممن ينتسبون للعلم واحدهم لا يحفظ
من كلام الله الا ما يكرره في صلاته ومن الحديث الا نذرا لا ينفي شيئاً
ان جلس لائناء درس لا يزيد على تلاوة الكتاب الذي بيده الا كلمات
حفظها عن شارح او مقرر .

﴿ البحث الثالث فيما يجب على المجتهد معرفته ﴾

قال الشيخ محمد عبد الباقي الافغاني في كتابه بيضة اصول الحديث
(المحدث) من عرف غالب اصول الحديث وفروعه (والحافظ) من حفظ
غالب اصول الحديث برزوه (والحالم) من احاط بجميع الاحكام المروية
(٣)

متناً وسنداً وخرجاً وتعديلاً وتاريخاً . انتهى

فهذه درجات المحدثين وابن هي من درجات المجتهدين الآتي بيانها .
قال في كشف الظنون في حرف الجيم مع الميم . وان من اصول فرض الكفاية .
علم احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام واثار اصحابه النبي هي ثاني ادلة
الاحكام . وله اصول واحكام وقواعد واصطلاحات ذكرها العلماء يحتاج
طالبه الى معرفتها كالعلم بالرجال واسماؤهم وانسابهم واعمارهم ووفت وفاتهم .
والعلم بصفات الرواة وشرائطهم . والعلم بمسند الرواة وايرادهم مسموعه وذكر
مراتبه . والعلم بجواز نقل الحديث . والعلم بالمسند والعالي والنازل والمرسل
والمنقطع والموقوف والمعضل . والعلم بالخرج والتعديل الخ . والعلم باقسام
الصحيح والكذب والغريب والحسن والمتواتر والأحاد والناسخ والمنسوخ
وغير ذلك . فمن التقى اتي دار هذا العلم من بابها . انتهى

(قلت) قوله (انها ثاني ادلة الاحكام) بناء على قاعدتهم اذا تعارض
حديثان في حكم يرجعون فيه الى ماصح منهما عن الصحابة . وهذه قاعدة
امامنا مالك رضي الله عنه ترجيح ماعمل به اهل المدينة .

رأيت في الفصل السادس من كتاب « الفلاحة » لشهاب الدين
احمد بن علي الديلمي رحمه الله تفصيلاً كافياً وافياً عن اسباب ظهور الاجتهاد
وتصدي العلماء لنزول الشريعة واليك ملخص مايتعلق ببحثنا هذا بدون
تصرف . قال ان هذه الشريعة كلها متلقاة من الله تعالى ولا مدخل للعقل

يجاب ولا تحريم ولذلك قيل « الحكم الشرعي خطاب الله المتعلق بأفعال
 مكلفين بالافتضاء أو التخيير » . فقبل خطاب الله لأن السنة والاجماع
 ليس ترجيح اليه . وعلم الكائنات والسنة والحكم الشرعي مفتقر الى العلوم
 بها وبأنه . انه بالنظر الى المنرد الذي يستدل به يفتقر الى علم الصرف .
 صحة التركيب الى النحو . وفي تعليق اللفظ على مدلوله الى علم اللغة .
 بآثاره وانماه والفاته وتقديمه وتأخير افع الى علم المعاني . وفي
 نيته ومجازه وكنايته واستمارته افع الى علم البديع . وفي خاصه وعامه
 بطلقه ومقيدته ومجمله افع الى علم البيان . وبالنظر الى توابع هذين طائفة
 علم اصول الفقه . وفي مواقع القرآن الى اسباب النزول . وفي استنباح
 بانيه الى علم التفسير . وفي نزوله على حروف متعددة الى علم الترات
 في الاستدلال به الى علم المطلق والجدل . وفي الاحكام والاستنباط الى
 اصول الفقه والناسخ والمنسوخ واحكامها . وشروط علم الحديث وما
 علق به . وهذه العلوم بعضها مرتبط ببعض وهي تستلزم جملة من علوم
 لاوائل كالفرائض والجبر والمقابلة والطب والطبيعة والرياضة والمنطق والمهيئة
 المواعيت والشعر والعروض وغير ذلك . انتهى

ثم بعد ما استوفى رحمه الله الكلام عن حالة العلم في عصر الصحابة ونبي
 ية والابوين والصدور الاول من العباسيين واسباب انصباب الناس على
 لعلم . قال . فاتباع نظام العلم واستمعوا لوتوتوتنا بين العلماء افراد فاعوا

بمهمات الشريعة وجمع شتاتها وتدوين اصولها وتفريع فروعها وتقرير مسائلها وحل مشكلاتها فتلقاها الملوك بالتعظيم وصدورهم الاعيان في الصدور عناية من الله تعالى بثبوت شريعته وايفاء بوعده لحبيبه ومازالت العناية تلاحظهم حتى اتم الله نعمته وثبتت اصول الشريعة وفروعها في الصدور وانكتب وامتلات اقطار الارض من اتباع الائمة المجتهدين ورواة الحديث . فلما انقلب الدور وظهور البدع وكثرة المقولات وصح الخبر باقتراق الامة الى اثني وسبعين فرقة تدارك الله الامة رحمة منه بعلماء جاهدوا في الله حق جهاده فبذلوا جهدهم بدحض البدع ورد المقولات وتاليف الامة وتقرير الاجماع على هذه المذاهب الاربعة فوقهم الله وثبتهم وايدهم واتم نعمته . اتبعني فانظر يا اخي اي برهان اوضح لدي بصيرة اثارها الله بالايان من اجتماع بضع وتسعين جزء من مائة جزء من المسلمين وهم اهل السنة على هذه المذاهب الاربعة من حين ظهورهم الى الآن مع ما هم عليه من تباعد الاقطار واختلاف اللغات والعوائد والاخلاق . ولواردت احصاء ما ظهر في هذه القرون من هذه الامم من كبار العلماء الشاهدة آثارهم على عظيم مقامهم وقوة اقتدارهم على الاجتهاد لو ارادوه لما استطعت ذلك . وقد تجد منهم عدد وافر من الاولياء الذين كانوا يتلقون الشريعة من ذات صاحبها عليه الصلاة والسلام الذي لا خلاف بجميانه ولا تجد واحدا منهم غير متقيد باحد الائمة الاربعة . فوحرية الانصاف ان هذا لا يكون مجهزة لولاء الائمة امدح الله بها

تكرمة لهم حتى تقوم الساعة .

(فان قلت) انا نرى مثل هذا الاجماع عند غيرنا من الامم (قلت)
كلا ثم كلا فظنك هذا عن جهل او عدم تدبر . فنحن نتناكح من بعضنا
ونختبر مذاهب بعضنا ونصلي في مسجد واحد مع امام واحد ونصوم سواء
ونجس سواء ونقبر في مقبرة واحدة ومن كفر منا آخر كان عليه اثم
تكفيره وتجمعنا اخوية الاسلام ووحدة الايمان . اما غيرنا فهم في كل هذه
الامور على العكس والتناقض . فتدبر تهدي ان شاء الله تعالى .

(فان قلت) حيث ان جميع العلوم المذكورة اتفا وقبله ظهرت وتدونت
بعد الائمة الاربعة فأتى لمد صحة الاجتهاد وشروط غير متوفرة فيهم (قلت)
نعم ان اكثر هذه العلوم تدونت بعدهم لكنهم ما كانوا مجردين منها . بل منها
ما كان فطرياً فيهم كهلوم العربية وامثالها . ومنها ما تلقوا اصولها عن علماء
التابعين . ومنها ما هم ذاتهم قرروا اصولها ثم الذين جاؤا بعدهم بنوا على تلك
الاصول وفرعوا عنها ودونوها حفظاً لها من ان تضيع جزاء الله عن الامة
احسن جزاء . ولو تعقبت كافة هذه العلوم لوجدت جميع اصولها مأخوذة
عن ائمة وعلماء القرن الاول والثاني وتكاد لا تجد اصلاً في علم احدهم
المتأخرون . ثم لو تدبرت بعقل سليم شدة تورع اولئك العلماء وتجنبهم كل
ما فيه شبهة خطأ او اثم وقوة حرصهم على التمسك بسنة الرسول عليه الصلاة
والسلام واصحابه لرأيت من المبالاة اقدم احدهم على قول او عمل وهو جاهل

واجبانه وشروطه . مثلاً كيف يقدم على التحديث وهو جاهل بشروطه
او على التفسير . او على التأويل . او على الترجيح . او على القياس وهو عا
بما جاء فيه من التحذير والوعيد . فهذا وهم لا يتطرق لعقل سليم وإيمان مستنير
واعياذ بالله تعالى .

﴿ البحث الرابع في التلفيق ﴾

قال الشيرازي رحمه الله في الميزان نقلاً عن اجلة من العلماء منهم الشيباني
محي الدين قدس الله روحه مانعه . اعلم ان الشريعة المطهرة جاءت م
حيث الأمر والنهي على مرتبتين تخفيف وتشديد . ويسمياً بالعزيمة والرخصة
فمن قوي على القيام بالعزيمة حذر عليه النزول والاخذ بالرخصة . والعالم
لا يكلف بما فوق امكانه . فالمرتبتان على الترتيب الوجوبي ليس على التخيير
واذا حققت اقوال المجتهدين لاتجد قولاً لم يخرج عن هاتين المرتبتين . و
لا يجوز وجود تناقض في كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ؛
كلما يظنه الجاهل تناقضاً فحقيقته راجعة الى احد المرتبتين المذكورتين كذلك
لا يجوز وجود تناقض في اقوال الائمة المجتهدين . وإياك ان تفهم ان المرتبة
المذكورتين على التخيير كما فهم بعض المنهويين فانهم يني بانني لاناقيده بمذهب
فمعاذ الله ان اقول بالتخيير في العمل الواحد واتدين بالرخصة في موضع العز
مع قدرتي على فعل العزيمة لما في ذلك من التلاعب في الدين وارتكاب
الرخصة لغير عذر . ويستثنى من ذلك ما ثبت عن الشارع التخيير فيه

كالخير بين الفسل والمسح على الخف مع الاقتدار على الفسل . وكالافتطار في السفر مع الاقتدار على الصيام وامثال ذلك . فن توفق من المقلدين الى الاشراف على عين الشريعة جاز له الاخذ بما شاء من اقوال الائمة المجتهدين بشرط عدم التناقض . واما من كان محجوباً عما اشراف عليه الائمة من عين الشريعة فلا يصح له الاخذ عن غير امامه وتصير عبادته ملفقة من عدة مذاهب فلا تصح على مذهب . وللائمة المجتهدين طرق ثلاث . فما صرح فيه الشريعة بالتشديد شددوا فيه . وما صرح فيه بالتخفيف خففوا فيه . وما اجملت الحكم فيه كان المجتهدون فيه على قسمين فمخفف ومشدد بحسب ما ظهر لكل منهم من المدارك ولسان العرب . انتهى

قال الشيخ عبدالغني التاباسي قدس الله روحه في المقصد السادس من كتابه خلاصة التحقيق مانصه . اعلم ان الناس على قسمين مجتهدين وغير مجتهدين . والاجتهاد على قسمين اجتهاد مطلق واجتهاد مقيد . فاهل الاجتهاد المطلق لا يجوز لهم تقليد غيرهم وانما الواجب عليهم العمل باجتihadهم . واهل الاجتهاد المقيد يجب عليهم تقليد اهل الاجتهاد المطلق في اصول . مذاهبهم فقط دون الفروع . كابي يوسف ومحمد ونحوهما من اهل الاجتهاد المقيد . واما غير المجتهدين فهم عامة الناس فلا يجب عليهم التزام العمل بمذهب معين من المذاهب الاربعة بل يجوز لكل احد منهم ان يعمل في عبادته او معاملته على اي مذهب شاء لكن بشرط استيفاء جميع الشروط

التي يشترطها ذلك المذهب والا كان عمله باطلاً بالاجماع كما سنذكره . ومتو
عمل عبادة او معاملة ملفقة اخذ لها من كل مذهب قولاً لا يقول به صاحب
المذهب الاخر فقد خرج عن المذاهب الاربعة واخترع له مذهباً خامساً
فعبادته باطلة ومعاملته غير صحيحة وهو متلاعب في الدين وغير عامل بمذهب
من مذاهب المجتهدين . لانه لو سئل كل مفتٍ من اهل المذاهب الاربعة
فلا يسوغ له ان يفتي بصحة تلك العبادة او المعاملة لفقد شروط صحتها عنده .
حتى لو كان محتجداً فلا يسوغ له احدث قول خامس يخالف ما اجتمع
عليه الائمة الاربعة على ما سنذكره فكيف وهو مقلد . وقد صرح الاصوليون
في بحث الاجماع بذلك . انتهى

وقد اطال قدس الله روحه الكلام وبسط المسئلة بسطاً وادباً بامث
وقول نقلها عن التوضيح لصدر الشريعة وحاشيته للسعد التفتازاني وقرأ
الاصول، للملا خسرو وشرح جمع الجوامع للحلي وتصحيح القدوري للشيخ
قاسم وفتاوى الامام الخطيب وكتاب توقيف الحكم ورسالة في التقيد
للشيخ محمد البغدادي وتحرير ابن الهمام عن القرافي والامام النووي والعلامة
الفريد للامام الاسنوي وشرح الورقات للشيخ الرمي وشرح الجامع الصغرى
للمناوى عن السبكي وشرح الدرر لوالده ومقدمة فتاوى الشيخ عبد الرحيم
العمادي . ثم قال . اذا علمت هذا لم تتوقف في بطلان العمل الملفق من مذهبي
او ثلاثة او اربعة اذ التافيق في مثل ذلك خرق للاجماع فلا يجوز للمجتهد

فما بالك بالملة الفاسر . ثم نقل ماقاله اجلة العلماء في الرد على ماقاله ابن فروج المسي من صحة التافيق واورد البراهين على بطلان مذهب اليه ابن فروج وانه عن رأى منه لادليل عليه . اه
فهنا ما عليه اثنتا واجلاء علمائنا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والى الله المير .

(قلت) ان كل متعبد لا يغفلو من احد حالتين اما ان يتعد عن غير دليل واما عن دليل « فالاول » هو العامي انفس فهنا لايسمح له الدين ولا العقل بالخروج عن مذهب ولا بالاخذ عن غير علماء مذهب لئلا يقع في التناقض فتكون عبادته باطلة وزوجته بسفاح وهو لا يشعر . وكثيراً ما يقع هؤلاء العوام في محظورات يكون سببها العلماء . لان أكثر علماء زماننا لا يستلون السائل عن مذهبه بل المسؤول منهم يفتي السائل بما في مذهب نفسه والسائل جاعل فيأخذ بما قاله العالم فيقع في تناقض او محذور سيما في الانكحة التي تولد عنها مناسد لا تمد ولا تحصي بواسطة علماء الخبايلة وبعض الشافعية وعدم مراعاة الاثمة او الشيوخ الذين يتولون العقد لمذهب الزوج . فاذا وقع في الطائفة الثالثة بعد الاستولذها وعاشرها نصف عمره ركض الى شافعي او حنبلي فيحكم له بفساد العقد الذي عقده له الحنفي ثم يعقد له عقداً افسد من الاول . وطال ما نهبت بعض الاثمة لهذه المسئلة فمنهم من يصم اذنيه ومنهم من يفصص ويتنيط . والبلاء الاعم هو ان اعمالهم هذه احدثت الزيف

والشبهة في قلوب الجاهلين الظنهم ان اختلاف الائمة العظام فتح باب هذا الفساد حال كون علماء زماننا هم الذين فتحوه اما عن جهل واما للانتفاع منه والائمة براء منه .

(والثاني) المتعبد عن دليل وهو العالم المتفقه الذي تتبع الدليل فاخذه . وهذا ما ان يكون تفقهه 'مختصراً' في مذهب واحد او يكون مشرفاً على مذاهب آخر (فالاول) لا يجوز له الخروج عن مذهب امامه لئلا يقع بما وقع به العاصي (والثاني) يستطيع ان يتعبد على مذهبين او اكثر لانه باشرافه عليهن مع ورعه وحرصه في دينه يمتنع وقوع تناقض منه في شيء . وانت ظهر منه تناقض عن عمد حكماً عليه بالجهل او التافيق والله تعالى اعلم

﴿ البحث الخامس في ترجمة الائمة الاربعة وغيرهم ﴾

اعلم يا اخي ان الائمة الاربعة ما تصدوا للاجتihad والتعرض لهذا الامر العظيم باختيارهم ولادعوا الناس من اقطار الارض لاتباع مذاهبهم والاجماع عليهم بل حينما انتشرت مذاهبهم في اقطار الارض كانت العلماء تقصدهم للاخذ عنهم وحينما اجتمعت الامة عليهم كانوا في عالم الآخرة . وما اضاعو حياتهم في تدوين مذاهبهم لاجل نوال دنيا او جاه او رب او القاب بل ما كان يخطر بغير احد منهم حينما باشر الطلب الوصول لادنى من هذا المقام بدرجات . لكن لما سبق في علم الله ان يكونوا واسطة تدوين شريعتنا وحفظ دينه رشعهم لذلك كتر شيخ الانبياء والرسل واتم نعمته عليهم حتى كاز

من امرهم ما كان . وجمع الله من الامة نحو خمسة اسداسها على اتباع
مذاهبهم ونبتد ماسواها بدون صنع منهم ولا سعي بل كانوا على حذر وخوف
من وقوف الناس عند اقوالهم . فالرشيد العباسي الخ كثيراً على الامام مالك
بان يأذن له بحمل اهل العراق على موطاء به فامتنع واقسم عليه ان لا يفعل .
وامتناع الامام ابي حنيفة والشافعي من النضاء اوضح دليل على تخوفهم من
اتباع الناس لهم لكن ما قضى الله كائن لا محال .

واني لم صنعاً في ظهورهم . بد امرهم ونشئتهم كان شبيهاً بحال نبيهم
عليه الصلاة والسلام لامال ولا عصبية ولا سلطان . فابو حنيفة غريب
اعجبني استعرب وجاء العراق فقيراً لا يملك شيئاً فانصب على الطلب والطلب
وقئذ كان بالتأني الشافعي لان المعلوم لم تكن مدونة فرفعه الله ذلك المقام
الذي لا تحلم به البشر وكما اقبلت الدنيا عليه شبراً ابعد عنها اميالاً حتى خرج
من الدنيا كما جاء اليها .

والامام مالك عربي مدني نشأ ببيتا فالتقى والدته للطالب فاعطاه الله
من خزائن فضله حتى كان خلفاء بني العباس يأتون مجلسه ويستمدون من
بحره وعلماء الاندلس وافرقتيا . مصر يضربون اليه اكباد الأبل .

والامام الشافعي قرشي مكي نشأ ببيتا فبلغ السادسة عشرة من عمره
استنذ والدته بالهجرة لطلب العلم فجاء المدينة المنورة فاخذ عن مالك
ثم العراق فاخذ عن ابي يوسف ومحمد وغيرهما واعطاه الله ما اعطاه ثم

هاجر من العراق فراراً من منصب القضاء وبدعة القول بخلق القرآن
فجاء الشام فالمدينة فمكة فمصر وتوفاه الله فيها .

(فان قيل) ان القائلين بمجواز الاجتهاد لا يعتنون بالمعاني التي ذهب
اليها ولا يقولوا بالخروج من الاجماع ولا غاية لهم الا العمل بالكتاب والسنة .
هم لما سمعوا من الله تعالى ومن رسوله عليه الصلاة والسلام انه ما جعل
في الدين من حرج وان شريعتنا سمحاء لا عذر لاحد في تركها وراوا الاثمة
الاربعة اخذوا الاثمة بالشدة والحرج حتى اضطار كثير من الناس لترك فروض
لا عذر لهم في تركها الا ما في ادائها من الحرج وراوا ائمة الحديث الذين
اجتمعت الامة ايضاً على صحة ما دونوه في كتبهم نقلوا احاديث تخرج الامة من
الحرج قالوا اي بأس علينا واي خلل في ديننا اذا رجحنا قولاً في مسألة رواه
البخاري مثلاً على قول رواه ابو حنيفة في تلك المسئلة نخرجنا برواية البخاري
من الحرج الذي اخذنا به ابو حنيفة ولم نخرج بذلك عن شرع الشارع ولا
عن اجماع الامة وتكون قطعنا عذر من يتعذر من الحرج . فهذا مذهب
وهذا ما ندين الله به وما اساء ظنكم بنا الا عدم التفاهم .

(فالجواب) ان في هذا التعليل انواع مغالطات اما عن قصد وعلم
واما عن وسوس شيطان زينها لكم .

(فاما قولكم) ان الاثمة اخذوا الناس بالحرج فهذا باطل واقتراء وقد
نقدم الجواب عنه فيما نقلته عن الامام الشعري والامام ابن تيمية وغيرهما .

« ثمة ما أتوا بشيء من عندهم البتة بل بكل أصل وفرع اتبعوا الشارع .
خلاف بين المسلمين بأن اختلاف الأئمة في الفروع هو عين الرحمة من
تعالى برفع الحرج عن هذه الأمة المسكreme . وهذه بديهة لا يجادل فيها
مكابروا جاهل . »

قال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله في المقصد الأول من كتابه
« صفة التحقيق » قال والذي رحمه الله في شرحه على شرح الدرر .
« وي البيهقي في المدخل بسنده عن ابن عباس أنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « مهما أوتيتهم من كتاب الله تعالى فالعمل به لا عذر لاحد في
ركه . فان لم يكن في كتاب الله فستة مني ماضية . فان لم تكن سنة مني
ما قال اصحابي . ان اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فلما اخذتم به اهتديتم .
اختلاف اصحابي لكم رحمة » اهـ

قال الجلال السيوطي في جزيل المآهب في هذا الحديث فوائد
« الاول » اخباره صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده في الفروع
بهذه مجزة لانه اخبار عن النبي « والثاني » رضاه بذلك وتقريره
« والثالث » مدحه انه حيث جعله رحمة « والرابع » التحذير للمسكرف في الاخذ
بأيها شاء « والخامس » ان كل المجتهدين على هدى وحق لقوله « فأيما
اخذتم به اهتديتم » .

واخرج الخطيب البغدادي عن مالك من طريق اسماعيل ابن ابي

الحامد ان هارون الرشيد قال لما لك ابن انس رضي الله عنه يا ابا عبد الله
نكتب هذه الكتب اي تأليف مالك ونفرقها في آفاق الاسلام لتعمل عليها
الأمة . قال بالامير المؤمنين ان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على
هذه الأمة كل يتبع ماصح عنده وكل على هدى وكل يد الله . انتهى
(واما قواكم) عن تاركي التمد هرباً من الخرج . فمن هم . ما
سمعتوا بواحد منهم . بل الذين نعرفهم ما هم الا احد رجلين . رجل ساءت
تربيته ورائ على قلبه فانسلخ من الدين وانتسابه اليه ظاهري لغرض دنيوي .
ورجل تمكن الشيطان من قلبه فاغواه بالكل واغراه برجاء العفو واستهواه
بالحرص على المال فسلب منه اكثر اركان الاسلام فلا طهارة من حدث
ورجس . ولا صلاة ولا زكاة ولا حج . ولعله لا صيام ايضاً ولا توحيد .
فقل لي يا ايها المفترى على الله ورسوله وائمة الدين ما هو الخرج الذي ترفعه
عن هذين الرجلين باخذك من كتب الحديث . اتبع انكار الدين وتحسبهم
من المسلمين . ام نبيح لهم الصلاة بالحديثين . ام تحمل لهم التلبس بالرجس .
فبأي حديث ترفع عنهم هذه الاحكام . وبأي حديث تبيح لهم افطار
رمضان . وبأي حديث تسقط عنهم الزكاة والحج مع وجوبهما والاستطاعة
أين لي عساك ترشدني . فوالله كلما تسمونه خرجاً ما هو يخرج بل هو من
لو كان الدين التي تجتهدون بهديها .
(واما قواكم) انكم تأخذون عن البخاري وغيره ما يرفع عنكم الخرج .

بنا هو التلقيق بعينه والخطاء فيه ظاهر من وجوه .
 (احدها) من المسلم ان الائمة الاربعة ضبطوا في كتبهم التفسير
 الحديث بقصد العمل بهما فلذا تحروا وجوه صحة ما دونوه وما اتفق عليه
 صحابة وما اختلفوا فيه وما كان عليه التابعون بعد الصحابة .
 وائمة الحديث ما دونوه بهذا القصد ولا تتبعوا فيه احوال الصحابة
 التابعين بل دونوه لاجل حفظه فلذا ما كان من مقصدهم تحري ما تحراه
 لائمة سيما ان الاربعة سبقهم لبيان ما يجوز التمسك به والتعامل فيه وما لا يجوز .
 ومن البديهي ان مدون الاحكام بقصد العمل بها اعلم من مدونها بقصد جمعها .
 (ثانيا) من البديهي الذي لا مكابرة فيه ان رواية الاقرب فالاقرب
 للشارع اصح واحكم من رواية الابعد فالابعد . ولا نزاع بان الائمة الاربعة
 اقرب عهدا للشارع من ائمة الحديث . واليك مقابلة يظهر منها الحق .
 ولد الامام ابو حنيفة سنة ثمانين وتوفي سنة مائة وخمسين فكان تلقية
 عن تابعي عن صحابي . وولد مالك سنة ثلاث وتسعين وتوفي سنة مائة
 وتسع وسبعين فكان تلقية ايضا عن تابعي عن صحابي . واكثر تلقية كان
 عن شيخ الفقهاء والقراء التابعي الشهير (نافع) مولى وتلميذ حبر الامة عبد الله
 بن العباس رضي الله عنهم .
 وولد الشافعي في سنة (١٢٥) او بعدها وتوفي في سنة (٢٠٤) فكان
 تلقية عن مالك واصحاب ابي حنيفة ومن حاصرهم .

وولد احمد سنة (١٦٤) وتوفي سنة (٢٤١) وقيل سنة (٢٣١) فكان
ثانيه عن الشافعي واصحابه ومن عاصرهم .
فتبين لك من هذا ان بين ابا حنيفة ومالك وبين الرسول عليه الصلاة
والسلام اثنان فقط . صحابي وثاني . وان بين الشافعي وبين الرسول عليه
الصلاة والسلام ثلاثة فقط . وان بين احمد وبين الرسول عليه الصلاة
والسلام اربعة . فاذا علمت هذا فلنذكر سلسلة من سلاسل ائمة الحديث
ولد البخاري نحو سنة (٢٠٠) وتوفي سنة (٢٥٦) وولد مسلم بعد سنة (٢٠٠)
وتوفي سنة (٢٦١) . فالبخاري ومسلم . سائر ارباب السنن ما ادركوا احداً
من تابعي التابعين الا الممهرين من تابعي التابعين المسند اليهم ثلاثيات
البخاري .

ومن عجيب التوفيق انك تجد نخوريج او ثلث البخاري متصلاً للامام
مالك كما انك تجد سنن ابي داود كُنْها ملخصة عن موطاء مالك . وهذا
برهان ظاهر على شدة الثقة والاعتماد على روايات مالك رضي الله عنهم
اجمعين وجزاهم عنا خيراً .

(الوجه الثالث) لا خلاف ان في الكتاب والسنة النسخ والمنسوخ .
وهنا منه المنسوخ من الكتاب بالكتاب . ومنه المنسوخ من الكتاب
بالسنة . ومنه المنسوخ من السنة بالسنة . وهذه الاقسام اوسع اسباب
الاختلاف بين الصحابة والتابعين والائمة . وفيهما العام والخاص والعقيد

المطائف والمجمل والمفصل والظاهر والمضمحل إلى آخره . فهذه كلها احاط
لائمة الاربعة واصحابهم باطرافها وما تركوا فيها زيادةً لمستزيد حال كون
ثمة الحديث ما تعرضوا لشيء منها البتة بل سردوا الاحاديث سرداً عي في
وابها على علاتها . فاذا وجدتم حديثاً في البخاري او غيره في مسئلته ومثله في
وطاء مالك مثلاً . احدهما فيه تشديد والثاني فيه ترخيص فأنى لكم
عرفة النسخ وترجيحه على المنسوخ وهكذا في سائر الاقسام التي نتوقف صحة
الحكم على معرفتها وانتم لا تجدون في كتب الحديث بياناً ولا اشارة تهديكم
الى الصواب . أيجوز لكم الترجيح بمجرد الظن والترخص . فهذه زندقة لا
سلامية . الا ترون ان الائمة ذلتهم كانوا يلجئون فيها يشكل عليهم الى ما
سج العمل فيه عن جمهور من الصحابة ويتركون ما قاله افراد منهم . وهذا
يضاً لا تجدونه في مجموعات الاحاديث الا مسروداً سرداً

(واما قولكم) انكم ما خرجتم عن الاجماع . فهذا هو المغالطة لانتبا
ينما كنا نباحثكم عن اجماع الفقهاء والتعبد والتعامل التجامع الى الاجماع على
كتب الحديث . ومع هذا فاخبرونا متى اجمعت الامة على التعبد والتعامل
صحيح البخاري او غيره واي عالم او فقيه افنى في حكم عن البخاري او غيره .
(واما قولكم) انكم بملككم هذا ما خالفتم الشارع ولا خرجتم عن
لشرع . فنقول لا يخفاكم ان التعبد والتعامل لا يصح الا بمعرفة اقسام
لاحكام المقررة في اصول شريعة الشارع ومخالفتها مخالفة للشارع ومخوفاً

من الشريعة وهذه يستحيل معرفتها من مجموعات الاحاديث التي لنغير الائمة
وغيرهم من الذين اشتغلوا في امور الشريعة وتدوين الاحكام . وانتم تعلمون
ان الشارع حذر الاخذ بالنسوخ كما حذر نعيم الخصاص وما اشبه ذلك .
فصارت معرفة ما حظره الشارع فرضاً والتعبد والتعامل بالمحظور باطل .
فاذا ضربنا صفحاً عن البحث عن هذا الغرض وأخذنا من مظاننا عن اهله
واعتمدنا على الظن والتأويل فقد خالفنا الشارع ونقضنا الشرع وكان ديننا غير
دين محمد عليه الصلاة والسلام .

بينما كنت اكتب في هذا الفصل رأيت في سنن ابي داود ثمانية احاديث
في احتجام الضائم خمسة في حظره وثلاثة في اباحتها . وما بين ابو داود ابي
الناسخ . ابي المنسوخ ومن روات الحظر الامام احمد . فمن اين لنا الوقوف على
الصواب لو لم يبين لنا الامام مالك وغيره بان حديث الحظر كان عابثاً الفتح
وحديث الاباحة كان في حجة الرداع فالثاني ناسخ الاول . ورأيت في كثير
من ابواب البخاري احاديث قد اجمعت الامة على ان احكامها منسوخة ولا
يجد في البخاري حديثاً يشير لنسخ واحد منها . وامثال هذا يكاد لا يحصى
فذكرت هذا استطراداً .

(واما قولكم) ان لا قصد لنا الا الرجوع الى الشريعة والى ما كانت
عليه السلف الطح . فتسألونكم اي شريعة تعنون واي سلف تريدون . فان
قلتم نعتي الشريعة المحمدية ونريد الصحابة والتابعين . قلنا لكم فلنعم ما عنيتم

نعم ما اردتم . لكننا لا نكون معكم كما قيل (اعني يقود بصيرا) بل نطالبكم
 بالدليل لتكون باتباعكم كما نحن باتباع اثبتنا على يقين .
 هذه كتب اثبتنا واتباعهم الجامعة لاصول مبادئهم وفروعها فاولونا
 من منبه قال باصل عن غير كتاب او سنة او فروع فترعا من تلقاه نفعه
 او قال بقياس عن غير اصلية . وبهذا انتهى . معكم في موثقات علمائنا من
 بعد الائمة الاربعة الى يومنا هذا . فان لم تجدوا فاسلككم الختم اعلم بالثلاثة
 محمد عليه الصلاة والسلام وطريقة اصحابه وتابعيه ام من تقدم ومضي من
 اعلام الفقهاء واجلاء المجتهدين والمفسرين والاولياء والفلاسفة والحكماء من
 اهل السنة .
 ارايتم ام سمعتم ان احدا منهم كان على غير مذهب من المذاهب
 الاربعة او ان احدا منهم يبيد لوضع مذهب عظماء في الافتراف على
 الاحياء والاموات وادعاء الانسان بما ليس فيه سهل لكن الامتحان والتجاذبي
 يكشف الحق ويكذب المبالغ على وجهه فتسود ونجوه او تبييض ونجوه . انما
 يسمعكم في دينكم ما وسع او تلك العلماء اللذين هم اجازين اعن مظاهره مؤلفاتهم
 التي املوها عن صيغورهم فضلا عن فهمها . ام تريدون ان تكونوا مسئلة
 هذا القرن وجهية الفرق الضالة التي ذهب الله ليلها اهذه في القرية الناجية
 التي اخبرنا عنها نبينا صلى الله عليه وسلم متاقي توحده المراء احمد بن عبد
 الوهاب (مسئلة) فيفتح لها ابواب الجنة وما يسواها من الامة يساوي

الى النار . لعل ذلك . فاننا لله وايما اليه راجعون .

وخاتمة القول ان كل ذي بصيرة لا يجد في احتجاجكم هذه معنى من معاني الاجتهاد بل كلها تفيد انكم تريدون الترخص باي آية واي حديث وافق هواكم كيتمها كان . وهذا هو الذي ذهب اليه الوهابيون . فاذن اتركوا دعوى الاجتهاد لا تغشوا بها الناس وقولوا نحن مرجعون ملفقون فمن شاء التلقيق فليأتنا والسلام

(المسئلة الثانية في التوسل والزيارة)

اذا سبق القضاء بشقاء انسان كتبت عليه اساليب اغواء الشيطان وفتحت له ابواب الشقاء فبدخل الشيطان الكفر عليه والعباد بالله تعالى من باب العبادة من حيث يرى فيه ميلاً اليه . وقد دخل على في واقعة حال وقعت لي وأنا في المدينة فالتزمت التوسل ونذرت صدقة فاناني من حيث يميل طبعي فقال (اذا كان القضاء مبرماً والقدر مقدراً فما فائدة التوسل والصدقة فتركها والزمت التوكل والتسليم) فوقع في نفسي هذا الكلام وملت اليه لكن الله اللطيف اراني في تلك الليلة رؤيا عصمني بها من شر هذا الخبيث . وقد يرى الانسان في شرك الشرك من طريق الطاعة كما رى الوهابين واخوانهم باغرائهم على ان التوسل بجاء الرسول عليه الصلاة والسلام وزيارته قبره الشريف شرك بالله ومناف للتوحيد واغواهم بما جاء في القرآن العظيم يحق المشركين فذهب بليمانهم تحت ستار العبادة وغرس في قلوبهم بغض

رسول الله صلى الله ومعاداته بتعليل الطاعة ففسروا الزيارة بمعاني عبادة
لاوثان وشبهوا التوسل بما يفعله مشركو العرب وغيرهم . فانظر ما اشقام
باحقهم وابعدهم عن الحق . ولوصح لهم هذا التأويل الباطل لكانوا هم اشد
ناس شركاً لانهم يزورون الامراء والحكام وينزلون اليهم ويتوسلون
بعضهم في حوائجهم بكل قول وعمل وربما خلب املهم بما يرجون .

فماذا علينا اذا توسلنا بجاه من فضله الله على كل خلقه في طلب نعيم
ناثم ورضا كريم لا يمن ولا يمنع او بقضاء حاجه دينوية .

فالمرء لا يعتقد ان المخلوق فعلاً او تأثيراً . وقد بسط العلماء الجواب
عما يفعله العوام مما يظن ان فيه شبهة شرك وما هي فيه . ونحن وايام ما
نقصد بذلك الا اتباع امر الله تعالى باتخاذ الوسائل وابتغاء الاسباب التي
منها السعي والكسب والدعاء واتخاذ الوسائل والتوسل بجاه احبائه وكل هذا
صرح في القرآن العظيم والسنة . لكن اذا سبق الشكاه غمت الابصار
وضلت البصائر . وحيث ان هذه المسئلة ذات فروع ويتعلق بها مسائل
أخر فاقسمها الى مباحث ان شاء الله تعالى وما توفيقي الا بالله .

(البحث الاول في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام)

ان هذه المسئلة من اهم المسائل التي اختلف فيها علماءنا ببعضهم وهم
والمعتزلة وغيرهم وسببه عدم وجود نص في القرآن العظيم بين كيفية حياته
عليه الصلاة والسلام بعد وفاته يؤيد الاحاديث الدالة على حياته الجسدية

تعليم وفاتية. وحيث إن هذه الاعتبارات مع نتائج المعارف المتطورة للحياة
 بغضن الرسل الذين لا هم عليهم الصلاة والسلام في تلك الأيام والآتي سورة
 البقرة لمؤنة أن يجرى المأثور فيها حياة الشهادت تكون بحجة قوية بآيات
 حياتية الجسدية من نص القرآن بما حمله الإنسان التي هي إبداء أصول الدين
 عندنا فما لا يرى كيف نفعل. علما أننا عنها وذهب النائمون عنهم بركة تعالين
 يعارضها. البصير والمعتدل كما سيأتي ديانته إن شاء الله تعالى في ما أقاموا على
 المعتزلة وامثالهم فواحييت لا يلتفت إليها لكن في موضوع بحثنا في أقوال علماء
 ب. ب. تقديم في الفصل الثاني من المسئلة الأولى أن من أركان الدين (القياس)
 لو ينقسم بعد علمنا إلى جميع وفاسد كونه القامد (أما المنة وهو من المنة كس
 والمؤمن عليه) لو لا جميع هو الميزان الحق الذي جاء به المرآة كالمفاهيم
 الكثر من حجبين لموضع. هذا هو العمل في الاستدلال (اللائحة) (القياس)
 للعلمة الأولى قياس الدلالة (أو لا يقيس القياس) وقد انقطعت الكلام عن هذه
 الثلاثة (القياس الجوزية) في الجوز الأولى من اعلام الموقعين سواء ردت ما جاء
 في القرآن العظيم من كل نوع وجيل (أو لا يقيس القياس) فيم على
 قياسي العلمة والدلالة كما سترى أن إنكاره على منكره في البرهان الناقض
 بوجهه يوفق الألفاظ من ذلك ما لا يراه من ذلك ما لا يراه
 فليس في التكليم عن حياته عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم في حياته
 قبل الشهادته الجسدية فذلك الأمر هذا حال الحكم في حياته الجسدية عليه الصلاة

والسلام حكماً ببدنية العقل ومطابقة النص لامتناع تخصيص المفضول بما لا يجوز للفاضل سباً وإن هذه الحياة الجسمية بعد الموت والفناء حصلت لمن هم لا شيء بالنظر لمقام الرسل والأنبياء والشهداء وحاصلة على الدوام لكثير من الحيوانات والحشرات وستكون عامة يوم الحشر والنشر والهلك البليان .
قال الله تعالى في سورة البقرة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) وقال تعالى في سورة آل عمران (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) .

فأنت ترى أن الله تعالى وجه الخطاب في آية البقرة إلى منكري حياة الشهداء الجسمية ورد عليهم قولهم حيث قالوا أننا ننظرهم أمواتاً أو نفرقت اجسامهم في بطون الوحش والطير فكيف نكذب الحس بأنهم أحياء والشريعة الإسلامية ما سمحت بالكذب الحس . فقال الله لهم أنهم أحياء بحياة لا تشعرون بها . والشرع يقيد بالعقل والحس فيما هو داخل تحت حكمها أما أعمال الله الخارقة للعادة فلا علاقة بينهما وبين أحكام الحس والعقل . ومعلوم أن الحياة الروحية عندنا وعند اليهود والنصارى والصائين مشعور بها عقلاً لأن الإيمان بما من الله كان هذب الأديان وما شئ حياة لا تشعرون بها . فكانت الروحية مشعوراً بها . فلو بقي روحه لم يرافقه عدم الشعور إلا إلى الحياة الجينية . ثم قال تعالى اعلم . ثم وجه تعالى الخطاب في آية آل عمران إلى الرسول عليه الصلاة

والسلام ليس لكونه من المنكرين بل لكونه واسطة التبليغ ورد على المنكرين
توجيهاتهم من وجوه (أحدها) بقوله (عند ربهم) فإذا كانوا عنده تعالى
امتنعت علينا رؤيتهم . ويؤيد كون هذه العندية حقيقة لا مجازية عدة
أحاديث (منها) ما رواه في الجامع الصغير عن العجلي عن أبي هريرة عن
الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال (الشهداء عند الله على منابر من
ياقوت في ظل عرش الله) (ومنها) ما رواه عن الطبراني وابن عدي والحاكم
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال
(دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة وإذا حمزة
مكي على سريره .

(وثانيها) بقوله (يرزقون) والرزق عادة ولغة لا ينسب لغير حي حياة
تقتضي الرزق . فالأرواح لا علاقة لها بالرزق ولا حاجة اليه بل الرزق
المتعارف هو من حاجيات الأجسام الحية . فتبين لنا أن فائدة قوله تعالى
(عند ربهم) بيان تخصيص لهم والأرواح كلها عنده تعالى وكلها روحانية
سمتعت عنها الرزق . فهل يصفها الله بمتنع عليها وبما هو من خاصيات الأجسام
المادية تعالى الله عن ذلك . ثم انت هو لاء المنكرين كانوا يعتقدون بقاء
الأرواح ولو لم يكن انكارهم موجهاً إلى الحياة الجسمية ما كان لهذا التخصيص
مناسبة . فرد الله عليهم انكارهم وأكد بقوله (يرزقون) فانسدت أبواب
الاحتمالات كلها . فهذا ما اتاه الله في روعي بدون أن اراد في موضع والله

تعالوا، اعلم ومنه ارجو العضو عن كل خطأ». «فالأية الاولى» نزلت في شهداء بدر وكانوا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي الله عنهم. والثانية نزلت في شهداء احد وكانوا اربعة من المهاجرين وستة وستون من الانصار رضي الله عنهم وقد بسط الفخر الرازي واسماعيل حقي في تفسيريهما ما قاله العلماء في ذلك وما عليه جمهور اهل السنة واليك البيان ملخصاً بدون تصرف. «قالوا» هل هذه الحياة التي لا تشعر بها بواسطة الحواس بل يجب التسليم بها اعتقاداً على اخبار الله تعالى بها هي حياة روحانية ام جسمانية. وهل الرزق المذكور خاص بالروح ام بالروح والجسم.

«فمن قال» بالحياة الروحانية استدلل (اولاً) باحتمال تفرق الجسم في بطون الوحش والطير وان دفن بالتملل (وثانياً) بمحدث (ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر) الحديث (وثالثاً) بقوله تعالى (يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك) فتوجيه الخطاب الى النفس دليل على الحياة الروحية «ومن قال» بالحياة الجسمانية قال «اولاً» ما المانع من ان تكون حياتهم البرزخية في اجسام لطيفة كاللائكة يرزقون من اثمار الجنة «الثاني» ان البنية ليست شرطاً للحياة وعليه فلا مانع من قيام الحياة في الذرات الباقية من البنية والرزق حاصل لها (الثالث) ما روى عن جابر بن عبد الله احد شهداء احد ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال له «ألا أبشرك ان اباك حيث أصيب باحد احياء الله» الحديث. وحيث ان الروايات في هذا الباب

أي حياة الجسم كأنها باءت حد التواتر فكيف يمكن أنكارها . ولا مانع
إذا قلنا أن الله تعالى يبيت هذا الجسم في الأجل المحتوم له ثم يعيد
الحياة إليه . انتهى

« أقول » أما احتياج المكرين بالتفرق والتجمل فسيأتي الجواب عنه .
وأما احتياجهم بالحديث فظاهر الحديث أنه عام في كل الشهداء وأقسام
الشهادة معلومة ونحن بحثنا في شهداء الجهاد الذين خصهم الله بما لم يخص به
غيرهم . وأما الآية فكذلك هي عامة والمراد بالنفس الملوثة نفوس عموم
المؤمنين أما الخواص كالأنبياء والشهداء وأمثالهم فهم المشار إليهم بقوله تعالى
« فأخلي في عبادي » . وهو إلاء العباد الذين استثنى الله من ساطة إبليس
بقوله « أن عبادي ليس لك عليهم سلطان » والأفكل الخلق عباده تعالى
فلعمري الحق أن هذا ليس باحتياج بل تعلل ومكايمة .

وحيث ثبت أن للشهداء حياة روحية أوجسمة بخلاف حياة سائر الناس
البرزخية وثبت لهم الرزق الذي هو أوسعهم فإن على الحياة الجسمية بل هما
لازماً وملزوم فصار بالأولى ثبوت أحد الحليتين أو أفضل منها للرسول
والأنبياء عليهم السلام . وسأبقى بيان حصول حياة إلهية من البشر قبل
التحلل وبعده ورجوعهم إلى الحياة الدنيوية فإني لهذا التعليل مناسبة بل
صار ما قاله الفخر في آخر كلامه قولاً يقتضيه مؤيداً بالنص والحس
واليك التفت

قال الشيخ احمد دحلان في باب مراتب الوحي من السيرة النبوية .
 تمثل كماله القونوي ان السادة الصوفية اثبتوا علماً متوسطاً بين عالم
 الاجساد وعالم الارواح سموه « عالم المثال » وقالوا انه اللطيف من عالم الاجساد
 واكتف من عالم الارواح . وبنوه على تجسد الارواح وظهورها في صور
 مختلفة وقد يستأذن لذلك بقوله تعالى « فتمثل لها بشراً سوياً » وبظهور
 جبريل عليه السلام في صورة نبيه وقارة بصورة اعرابي وما اشبه ذلك من الاخبار
 التي لا خلاف فيها . انتهى .

قال المؤلف « ان ما قاله السادة الصوفية حينما كانت الارواح في مجور
 ظلمات الجبل اظهره الله تعالى للعباد في هذا الزمان بواسطة التشويم الصناعي
 فاعلموا انهم انكروا عالم الارواح من الماديين . هذا هو الحق لا اله الا الله
 في العالم ما التشويم الصناعي فقد رآته في سنة (١٩٣٢) في المرنج الكبير
 وفي الاسكندرية ثم عقيب ذلك في يوم امراء حتى عابت عن الشعور ثم
 حدثت فعل اعمالاً لا يصدقها من لم يرها . وجاؤت عن اسئلة عن امور
 سماوية لا يعرفها الا السائل . انتهى .

قوله « واما » استحضار الارواح محسوسة بواسطة التشويم فقد ذكره محمد فريد
 وجدي في كتاب السوئين في حياته (الحياة) مفصلاً ، كافياً وافياً وذكر جملة
 استحضارات (منها) ان احداً العلماء المتحضر روح صديقه كانت له فلما مثلت
 بين يديه احدث تذكراً بمعاذ الضد انه كيلا يرتاب بها . فلما احدث يستلها

عن احوال البرزخ امتنعت عن الجواب ونائية ما افصححت له انها قالت
(نحن لما كنا في الدنيا كنا محجوبين مثلكم اما الآن فنحن نعلم الماضي كما نعلم
الحاضر ونشاهد المستقبل كما نشاهد الموجود) انتهى

فمن شاء فلينظر اعداد المجلة المذكورة يرى العجب .

ولنرجع الى كلامنا فاقول قد بقي في المسئلة على ماذهب اليه بعض
علمائنا ترجيح احد الحياتين على الأخرى بنص يعول عليه حكما اوقياساً .
وما رأيت احداً أتى بالترجيح الا من جهة الاحاديث الآتى ذكرها . لكن الله
تعالى القى في روعي طريقاً من جهة القرآن العظيم وغيره واليك البيان .

(الاول) لما كان انكار المنافقين واليهود موجهاً من جهة الموت المعهود
حينما قالوا للمؤمنين (ان صاحبكم يسوقكم للقتال لتموتوا وتحرموا من ملذات
الدنيا) لزم ان يكون الجواب من نوع الاعتراض والا فيكون مغالطة والله
تعالى منزّه عن ذلك ولو وقع لسكان اكبر باعث لليهود والمنافقين على الطعن
فيه بل من المحال سكوتهم وهم ألد الاعداء المتريقين فرص الطعن واسباب
التشويش . وحيث ان اليهود يعلمون يقيناً عدم امتناع الاحياء بعد الموت
ومذكور في اخبار انبيائهم اقتنعوا وسكنوا ولو كانوا سكان الزمهم الحجة
من كان اسلم منهم فلم يبق ريب بان الحياة التي ذكرها الله تعالى هي الحياة
الجسمية المنصودة في كلام المنكرين والزرق هو الرزق المتعارف عندهم .
واذا ثبت للشهداء الحياة الجسمية فالأولى ثبوتها للرسل والانبياء عليهم السلام

(الثاني) لاخلاف بان النسر والحشر سيكون بالجسم والروح . قال تعالى في سورة يس (قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي انشأها اول مرة) . فالتأخر على إعادة كل ذي روح لما كان عليه في الدنيا بعد التحلل الذي يمضي عليه الوف سنين الا يكون قادراً على إعادة الروح اليه بعد موته بقليل او اعادتها الى جسم جديد ان تفرق الجسم الاول .

أليس لنا اوضح مثال محسوس في أبطال دعوى الامتناع بعلة التحليل والتفريق ما شاهدته في تولد الجراد ودود القز ونموه واستكمال الحياة والقوة في بضع اسابيع بعد ان كان بذرة لاحياة فيها .

(الثالث) ذكر الله تعالى في سورة البقرة قصة العزيز وحماره . وانه احياه بعد مائة سنة واحيا حماره بعد تفرق اجزائه . فالذي حفظ جسم العزيز تلك السنين وحجبه عن اعين الخلق أليس بقادر على احياء اكرم خلقه عنده على اي حالة كانت وحفظ اجسامهم وحجبه عن اعين الناس (على وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون)

« الرابع » ذكر الله تعالى في سورة الكهف قصة الفتية وانهم لبثوا في الكهف ثلاثمائة سنة وتسع ثم بعثهم ثم اعادهم لما كانوا عليه . فهذه ابلى في القدرة من قصة العزيز .

(الخامس) قال تعالى في سورة آل عمران (اذ قال الله يا عيسى اني مثوبك ورافك الي) ولاخلاف بانه عليه السلام اوضح مثال واصبح قياس

لحياة الانبياء والشهداء بعد وفاتهم . وقد وقع مثل هذا بمينا (لعامرين
'فهيبة') رضي الله عنه حينما استشهد في غزوة بدر معونة لخمائه الملائكة
الى السماء والناس ينظرونه حتى غلب عن ابصارهم . اترأ بعقلك وایمانك
يكون في السماء جسد بدون روح ام ما فائدة رفع جسده اذا لم ترد اليه روحه .
(السادس) قال تعالى في سورة البقرة (الم تر الى الذين خرجوا من

ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احيائهم) اه
هذه الحادثة من اعظم الحوادث الشاهدة بسقوط كل ما يعمل به منكرو
حياة الانبياء والشهداء بعد الموت . قال الفخر الرازي ان هذه الحادثة
كانت في زمن حزقيل احد انبياء بني اسرائيل . فراجعت سفر حزقيل فاذا
هي في الاصحاح (٣٧) منه وملخصها انه وقع طاعون في بلد حزقيل فخرج
اكثر اهل البلد هارين حتى وصلوا الى وادي فقاموا فيه فجثتهم صبيحة من
الله فماتوا كلهم . وبعد ما فرقت اجزائهم ولم يبق غير العظام اوحى الله
لحزقيل ان اخرج الى الوادي لأريك كيف احيهم فخرج فامر الله ان
يناديهم بالذن الله فتاداهم فاجتمعت العظام الى بعضها ثم اكتست لحماً ثم جلداً
ثم حلت فيه الروح فتناموا احياء كما كانوا ورجعوا الى بلادهم وعاشوا
ما شاء الله . اه

(السابع) قال تعالى في سورة البقرة عن احبار بني اسرائيل (ثم
بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) ولا خلاف بان هؤلاء الاحبار

الذين اخذتهم الصاعقة عاشوا بعد هذا الاحياء ماشاء الله .
 (الثامن) قال تعالى في سورة البقرة (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك
 يحيى الله الموتى ويرىكم آياته) قال المفسرون ان هذا الاحياء كان بعد امد
 طويل لحينا وجدوا البقرة .
 (التاسع) قال تعالى في سورة البقرة (واذا قال ابراهيم رب ارفني
 كيف تحيي الموتى) الآية فهذه الطيور قد احياهن الله بعد تفرق اجزائهن
 (العاشر) ذكر الله تعالى في سورة آل عمران وسورة المائدة ان من
 معجزات المسيح عليه السلام احياء الموتى . وهذه المعجزة تعدت من بعض
 انبياء بني اسرائيل ومن نبينا عليه الصلاة والسلام مراراً .
 فالذى جعل احياء الاموات بعد التفرق . البلاء . معجزة لانبيائه تأييداً
 لقولهم لا يجعلها تكرمة لثانهم تنفيلاً لهم عن غيرهم . والوارد في الترات
 العظيم والاحاديث واسفار التوراة والانجيل بصريح احياء الاحسام بعد
 الموت وبعد التفرقة وقبلها يكاد لا يحصى ولا يحصر .
 فأي ريب بقي لذي ايمان بحصوله للرسل والانبياء والشهداء . واي
 وقاحة اقبح من الاحتجاج بعدم رؤيتهم احياء اذا فحمت اجزائهم او اذا
 كانت تفرقت اجزائهم ولم تدفن وبكلام الله ملأيت بعضه . فاي مسلم
 يشك بوجود الملائكة والجن والسايطان بيننا ومنهم من لا يفارقنا لحظة
 ولنحن لانراهم ولا نشعر بهم . قال تعالى في سورة الاعراف (انه براكم هو

وقبله من حيث لا ترونهم) وقال تعالى في سورة فصلت (وقيضنا لهم قرناء)
وقال في سورة الزخرف (ومن يش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو
له قرين) وقال في سورة الانفطار (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) .
فهذه حالتنا في كل لحظة بين الملك الامر بالخير والشيطان الماوي على الشر
ونحن لا نرى احدا منهم ولا نشعر به لاني اليقظة ولا في النوم .

ومن عجيب التمثل في التأويل ان الله تعالى نفي في الآيتين الموت
عن الشهداء وبعض الناس يحاول اثباته . وهل للموت معنى غير مفارقة
الروح الجسد . والله تعالى نفاه عنهم .

(واما الاحاديث) الواردة في ذلك فكثيرة جداً منها دلالة ومنها
ضراحة . (فمنها) احاديث المعراج التي بلغت حد التواتر وجاء فيها رؤية
موسى عليه السلام قائماً يصلي . وصلاته بالانبياء عليه وعليهم الصلاة
والسلام . ورؤيته الرسل العظام الذين ذكرهم ووصف هيئة كل منهم
ولو صافه . والمكالمة التي جرت بينه وبين موسى . فهذه كلها صريحة في
الحياة الجسمية . ولا يخال لعقل سليم تشبيه ما رااه عليه الصلاة والسلام
بما يراه النائم . فالتائم لا يرى بعيني رأسه بل الروح التي ترى . والرسول
عليه الصلاة والسلام رأي بعيني رأسه . ولو لم يكن هذا معلوماً عند اليهود
والنصارى لما جازسكوتهم عنه وهم احرج الناس على تكذيبه ولو بمثل
شبهة . الا ترى انهم ما كانوا يحاولون انكار معجزاته والوحي لان انكارها يمس

ليأتيهم لكنهم كانوا ينكرون تعميم رسالته ونسخ شرايعهم .
 (ومنها) الحديث المتقدم ان الشهداء على منابر . وهذا يؤيد آية سورة
 عمران ومنها الحديث المتقدم بحق جعفر وحزمة وجابر رضى الله عنهم .
 وقد نقل الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف النبهاني في كتابه الفضائل
 بمعية وسعادة الدارين احاديث واخبارا وآثارا كثيرة في هذه المسئلة .
 قال ، قال الحافظ السيوطي في كتابه (تنوير الحالك) مانصه (ولا تمتنع
 وثبة ذاته الشريفة فإنه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء احياء ردت اليهم
 رواهم بعد ما قبضوا واذن لهم في الخروج والتصرف . وقد الف البيهقي
 بزيارته في حياة الانبياء . وقال في دلائل النبوة الانبياء احياء عند ربهم
 بالشهادة . وقال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتكلمون المهتفون من
 صحابا على ان نبينا صلى الله عليه وسلم حي بعد وفاته . وانه يسر بطاعة
 منه ويمتنع بمعاصي العصاة منهم وتبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته .
 الانبياء لا يملون . وقد مات موسى عليه السلام في زمانه واخبر نبينا صلى
 الله عليه وسلم انه رآه في السماء الرابعة ورآني آدم و ابراهيم وغيرهم . وحيث
 صح لنا هذا الاصل قلنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم صار حيا بعد وفاته
 وهو على نبوته . انتهى

(قلت) عبارة السيوطي الاخيرة هي قاعدة القياس الذي قرره في
 صدر هذا البحث وهو من الاصول الثلاثة التي عليها مدار الاحكام الدينية .

(ثم قال) ونقل الامام السيوطي في كتابه المذكور شيئاً كثيراً من هذا وقال في آخره (أخصل من مجموع هذه القول والاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه وانه يتصرف ويسير حيث يشاء وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته ومغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع وجودهم احياء باجسادهم فاذا اراد الله رفع الحجاب عن اراد اكرامه برويته يفضله رآه على هيئته التي هو عليها) انتهى

«وقال» قال الشيخ محي الدين بن العربي (لا تمتنع رؤية ذات النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده لانه وسائر الانبياء احياء ردت اليهم ارواحهم بعد ما قبضوا واذن لم في الخروج) انتهى

وكتب الحديث مستفاداً باحاديث حياته وحياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام . وروي الامام الزرقاني في شرح موطاء الامام مالك عن انس مرفوعاً (الانبياء احياء في قبورهم يصلون) . وعن الغزالي والرافعي حديثاً مرفوعاً (انا اكرم على ربي من ان يتركى في قبري بعد ثلاث) اهـ (وقال) في كتابه (جواهر البحار) قال الشيخ عيد الكريم الجيلي في كتابه (الانسان الكامل) في الكلام على اسم (الباقي) من اسماء الله مانصه «فانه صلى الله عليه وسلم كان متحققاً به بدليل قوله تعالى «ولانحسبن الذين قتلوا في سبيل الله» الآية فاذا كان الشهداء احياء فما قولكم في سبب الشهداء» اهـ

فهذا ما روينا لك عن مأخذ عن جمهور من اجلة علماء الظاهر واولياء
الباطن اهل الكشف حتى بلغت الروايات ما فوق حد الثواتر ولم ارو لك
جزء من مئة جزء كيلا ياخذك الملل . هذا مع ما انت تقرأه من كلام الله
تعالى عن اخبار من احياهم الله بعد الموت وبعد التفرق وعاشوا دهرًا . وتنتظر
أبعينك من دنابا الخلق من يميتهم الله في السنة مرارًا ثم يخلفهم من بزرة كالجزراد
ودود القز ولا ترى اقل فرق في النوع والجسم والصفات بين الاصل وبين
المخلوق من بزرتهم . وترى من الحشرات من يميتهم في الشهر مرارًا ثم يخلفهم من
بزرة كالذبباب والبرغش وامثاله . وتعرف كيف يخلق الانسان والحيوان من
نطفة في بضعة اشهر والطير من بيضة في ايام . ولا تزال تهوي مع الشيطان
بانكار احياء الانبياء والشهداء بعد موتهم واعادة اجسامهم كما كانت ولو
تفرقت اجزائهم بعله انك لم ترهم بعد احياهم او بعله انك تنظرهم امواتا حال
كون العوالم المحيطة بك المعجوبة عن بصرك اكثر من العوالم التي تنظرها
بما لا يعلم مقداره الا الذي خلقها وحبها عن بصرك . تدبر بعقلك فيما لو كان
اليهود والنصارى اقل ريب في حياة الانبياء لسكان ذلك اقرب الطرق
لانكارهم المعراج . لكنهم لما ذكر لهم صفة كل من الانبياء الذين رآهم
وهيئة علي طبق ما هو مذكور في كتبهم اندفعت الشبهة عنه وتقرر ان رب
المنظور حقيقي ليس روعي خيالي .

وهكذا كان الحال مع اهل مكة فانهم بداية انكروا عليه الاسرى بجدة

فلما وصف لهم بيت المقدس واخبرهم عن عيرهم القادمة من الشام وصف مشاهدتهم يعلمون انه ماذهب اليه سلموا له بالاسرى وانكروا المراج .

« فان قيل » اي علاقة لهذا البحث مع ما انت في صدره « قلت » العلاقة كلية لانه اذا صح لنا دليل حيائه صلى الله عليه وسلم الجسمية بعد وفاته وقد صح بعون الله تمهيد لنا نقر بكل ما انكروه علينا وحصل لنا بذلك فضيلة أخرى وهي نوحا من العصبية ولم ينقصنا من العصبية التامة سوى رؤية ذاته الشريفة . ودلينا بهذا مارواه الطبراني في الكبير والبيهقي واخذ به السبكي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه قال « من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » اهـ

فهذا الحديث دليل لنا على فضائل زيارة قبره الشريف . « فكاف التشبيه » التي في هذا الحديث اذ لم تكن كاف التمثيل فلا ريب انها كاف تشبيه . فحمد الله على نعمته بتشبيه زائر الحجرة الطاهرة بالصحابية الذين نظروا ذاته الشريفة باعين رؤسهم ونحن تحدثنا بنعمة الله ننظرها باعين قلوبنا في القفلة وبارواحننا في المنام . ولا يرد علينا انكار من حرمة الله لذة الحب وصفاء الاخلاص نغتم الله على قلبه كما قال البوصيري (قد نكر العين ضوء الشمس من رمد . وينكر القم طعم الماء من سقم .)

فمراة الحبة الصافية لا تنزل منها صورة المحبوب مهما بعدت الشقة وطال الامد .

واعلم يا اخي ان للوهابين واخوانهم اعداء الله ورسوله مظاعن كثيرة
بالرسول عليه الصلاة والسلام كلها من المكفرات وان كانت بمجد ذاتها من
المضحكات تجل عقول الصبيان عن التمسك بها . لكن علماء الحرمين والمهند
ماقصروا بواجباتهم بل انزلوا على رؤسهم صواعق الردود التي لا يحصى منها
الا لئلا وقاحة وقحة وسفاهة كهذه العائفة ومن على شاكلتهم . ثم في اثناء
تيدض هذه الرسالة اطلعت على رسالة اسمها « الدولة المسكية بالمادة الغيبية »
للشيخ الجليل والخبر النبيل احمد رضا خان الهندي القها من نحو اثني عشرة
سنة بالرد على الوهابية في انكارهم اطلاق الرسول عليه الصلاة والسلام على
علم الغيب . فوفاهم فيها وفاء الكيل وفي مباحثه ذكر كثيراً من مؤلفات علماء
الحرمين والمهند بالرد على هؤلاء الكفرة وان له نحو مأتي رسالة بالرد عليهم
وانه ناظرهم مراراً وما زالوا يتحككون به بدون حياء . مع ان اخبار الغيب
التي اطاعه الله عليها في القرآن العظيم وامره بتبليغها للناس تزيد عن مأتين .
فهل ترى في حيوان مائعة ووقاحة مثل ماترى في هؤلاء السفلة .

﴿ البحث الثاني في الزيارة ﴾

اعلم يا اخي شرح الله قلبي وقلبك بنور الاخلاص ان لنا معشر المؤمنين
وجيدانا في حب نبينا عليه الصلاة والسلام يكفيننا عن الاستدلال والاستشهاد
على كل مانحن في صدمه . فمن شاء فليتبنا فيتذوق بما ذقنا . ولا تنازع
في الازواق .

لكن لما رأينا اناساً منا اغواهم الشيطان بواسطة زمرة من جنوده
المتدلسين بالعلم والدين فاتبعوهم عن جهل قتنا امثالاً لآمر ربنا واقتداءً ببنينا
واصحابيه عليه وعليهم الصلاة والسلام رجاء ان ننال شيئاً من الفلاح بالذنب
عن الشريعة المطهرة والائمة الاعلام .

وانتهك لشيء لا دليل عليه غير التوق والوجدان . وهو ان الداخل
للعزمين الشريفين والواقف بعرفات اذ لم يكن متزوداً بلوفر نصيب من الاخلاص
والاعتبار فلا يشعر بشيء ولا يدرك شيئاً ولا يجد لذة في عمل ولا همة
باغتنام اجر ولا رغبة بزيادة فضل . اما من انعم الله عليه بهذا الزاد فانه
يشعر ويدرك كليات وجزيئات امور ويجد لذة وهمة لا يجد اللسان الفاظاً يعبر بها
عنها . فلا تله ان رأيت في عرفات تارة يرقص وتارة يتمرغ في الرمل غير
حلس بحرارته . ولا تعجب ان رأيت دموعه منهمة بدون تكلف . او
رأيت جزءاً وجلاً كان جهنم خلقت لأجله . او رأيت ساهياً تجاه الكلمة
الشريفة او الحجرة الطاهرة غير حاش ولا مشعر بما حوله . او كلمة وعيد
اطارت قلبه فازهلت ودهشت . بل قف في الحرم المسكي واصرف نظرك
للناس اذا قال المؤمن (يا ارحم الراحمين ارحمنا) ترى من خر مصروعاً .
ومن علا نحيباً وبكاء . وشخص يصصره الى السماء مندهشاً . ومن لاه
لاسمع ولا درى . في هذه المواقف تظهر السرائر . والحمد لله على نعمه .
فان تزودت من زادهم ذقت مذاقهم فعرفت معرفتهم والافكن

عَلَى حَيَادِ اسْمِكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ .

(أما الأحاديث) الواردة بفضل زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام والأنبياء والأولياء والصالحين وما يحصل منها من البركات والخيرات فهي أكثر من أن تجمع في مختصر مثل هذا . ولولم يكن لنا منها إلا الحديث المتقدم آنفاً لكان لنا فيه كفاية .

الم تر هؤلاء الذين اغواهم الشيطان فزعموا أن زيارة قبور الرسل والأنبياء والتوسل بجاههم شرك بالله تعالى وتراه قادم من أذقانهم ينزلون للامراء ويتقربون للوجهاء بأعمال لا تجد أقيح منها عند عبدة الأصنام والأوثان .

زعموا أن القيام في المولد الشريف بدعة سيئة وتراهم عند ذكر الأمير يخرجون مسجداً .

تبع المظان من الكتب لأعرف أول قائل بهذه الضلالة وداع إليها فما وجدت لها اثرأ عن أحد من علماء أهل السنة قبل الشيخ أحمد بن تيمية . فتعقب ما عرفت من مؤلفاته لأقف على نص صريح له فوجدته ذكر هذه المسئلة في موضعين من كتابه (الجواب الصحيح) فالأول في صحيفة (١٢١) من الجزء الأول والثاني في صحيفة (٥٥) من الجزء الثاني قل في الأول حديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وحديث (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور

مساجد وافي أنها لم عن ذلك، وحديث (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) ثم قال الى امثال ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين . ثم استطرد في تشبيه ما جاء في هذه الاحاديث بعبادة الشمس والقمر والاولئان والصور والسجود لها والاستشفاع بها وباصحابها الى ان قال . وان كان يذكر عن بعض الانبياء تصوير صورة لمصلحة فان هذا من الامور التي قد تتنوع . فيها الشرائع بخلاف السجود لها والاستشفاع باصحابها . فان هذا لم يشعه نبي من الانبياء ولا امر قط احد من الانبياء ان يدعي غم الله عز وجل لا عند قبره ولا في مغيبه ولا يتشفع به في مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويوم القيامة وبالتوسل به بدعائه والايمان به فهذا من شرع الانبياء عليهم السلام . انتهى .

فانظر ما في هذا الكلام من التلاعب والتقلب والقياس الفاسد والتهوير الذي ادخله في زمرة محرفي كلام رسول الله عن مواضعه . فالاحاديث التي استبدل بها وحرفها صريحة في النهي عن الجلوس على القبور كما يفعله اهل زماننا نساء ورجال والصلاة اليها كما يفعله الوثنيون ليس فيها نهى عن الزيارة ولا تشبيه من يزور قبر نبي او غيره بعبادة الشمس والقمر وغيرهما . وسيأتي حديث النهي عن الزيارة ثم اباحتها والله عليه الصلاة والسلام كان يزور اهل البقيع ويستغفر لهم . نعوذ بالله من الغلو الملوذي الى خرق اجماع الامة من عهد الرسول الى اليوم وتشبيه كافة المسلمين بعبادة الشمس والقمر والاولئان .

ولا ينزك ما رأيتُه من استثناء ارسول عليه الصلاة والسلام فأنه حصر الاستثناء في حياته ويرم القيامة ومن هذا الحصر نفهم اعتقاده بتحريم زيارة القبر الشريف والتمويه بعدم انكاره ما جاء في كلام الله وانكار الاحاديث الواردة بحق الزيارة والتوسل والاستشفاع . فهل بعد هذا الضلال ضلال والعياذ بالله .

« واما كلامه الثاني » فأنه بعد ما نقل آيات نزلت في حق المشركين قال . وقال الله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) فالمسيح صلوات الله عليه وسلامه ومن قبله من الرسل انما دعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له . وفي التوراة من ذلك ما يعظم وصفه . لم يأمر احد من الانبياء بان يعبد ملك ولا نبي ولا كوكب ولا وثن ولا تسئل الشفاعة الى الله من ميت ولا غائب لا نبي ولا ملك . فلم يأمر احد من الرسل بأن يدعو الملائكة ويقول اشفعوا لنا الى الله) انتهى فانظر ما في هذا الكلام من الخلط والضلال « اولاً » قياسه التوسل والاستشفاع على عبادة التصاري والوثنيين للصور والاولثان « ثانياً » جعل الاستشفاع والتوسل بهذا القياس من المكفرات « ثالثاً » استثناء الاحياء والحاضرين وحصر التحريم بالاموات والغائبين وادخال الملائكة مع الاموات والغائبين مع ان الملائكة ليسوا امواتاً ولا غائبين والتوسل والاستشفاع بالحي اقرب لمظنة الشرك من الميت . وجميع الفرق المشتركة

ما قالوا بالوهمية حدثت لميت بعد موتهم بل كلهم قالوا بالوهمية احياء وكلهم ينكرون موت آلهم .

وسأتي في البحث الثالث ان شاء الله من كلام الله تعالى وكلام رسوله ما يثبت به ضلال هذا المصل ويدحض افتراءه على الله وانبيائه .

فلعمري الحق ان كلام هذا الرجل ان لم يكن عن فسق وزيف فهو اجدر بالجنون واختلال العقل . ولا اطيل الرد عليه لان جمهور من علماء عصره منهم الامام السبكي القوا كتباً بالرد عليه واثبات عثمانيته للسنة والكتاب والاجماع . فلما قام « محمد عبدو » مفتي مصر المعلوم باحياء هذه الضلالة طبع رسالة بالرد على الامام السبكي زعم انها تأليف احد تلاميذ شيخه ابن تيمية . فلما عرف علماء مصر مصدرها تصدي الرد عليه نخبة من علماء القاهرة منهم الشيخ ابراهيم السمنودي برسالة سماها « نصرة الامام السبكي » استوفى فيها ابطال كافة اضراليه . ثم في سنة (١٣٢٥) الف الشيخ خليل احمد الهندي رسالة جلوب فيها عن ستة وعشرين سؤالا وردت عليه فيما ينكره الوهابيون على اهل السنة ويتعاملون به عليهم . قال في جواب السؤال (الاول والثاني) . عندنا وعند مشايخنا ان زيارة قبر سيد المرسلين من اعظم القربات واهم المثوبات بل من الواجبات وينوي وقت الارتحال زيارته عليه الصلاة والسلام وينوي معها زيارة مسجده . بل الاولى ما قاله العلامة ابن « همام » ان مجرد النية لزيارة قبره الشريف لقوله عليه الصلاة

والسلام « من جاءني زائراً ليعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون شافعاً له يوم القيامة » وكذا نقل عن « الملا جامي » . وأما استدلال الروائية على المنع بحديث « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » فردود عليهم لأن الحديث لا يدل على المنع أصلاً . لأن علة استثناء هذه المساجد فضلها المختص بها وهو مع الزيادة موجود في البقعة الشريفة التي ضمتها عليه الصلاة والسلام فهي أفضل من سائر المساجد بل من الكعبة ومن العرش والكرسي كما صرح به قسباؤنا . وقد صرح بالمسئلة وبسطها شيخنا العلامة (رشيد احمد الكنكوي) في رسالته (زبدة المناسك في فضل زيارة المدينة المنورة) وأيضا رسالة لشيخ مشايخنا (صدر الدين الدهلوي) سماها (احسن المقال في شرح حديث لاتشد الرحال) اقام فيها الطامة الكبرى على الروائية ومن وافقهم واتى يبراهين قاطعة وحجج ساطعة . انتهى

« قلت) انظر هؤلاء الاخبار كيف يأخذون من الاحاديث ما يكون لهم فيه باب للفاطمة والاضلال ويتكبرون ماسوا . قاتلهم الله . » قال الاساذ الفاضل الشيخ يوسف الشباني في كتابه (الفضائل المحمدية) مانعه . الف العلماء في زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام كتباً مستقلة منهم الامام السبكي وابن حجر . فن الاحاديث التي نقلها وبسطها بكي الكلام عليها (الاول) قوله عليه الصلاة والسلام (من زار قبري وجبت له شفاعتي) (الثاني) قوله (من جاءني زائراً ليعمله حاجة إلا زيارتي كان

حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة (الثالث) قوله (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي) (الرابع) قوله (من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) (الخامس) قوله (من زار قبري كنت له شهيداً ومن مات في إحد الحرمين بعثه الله في الآتين يوم القيامة) (السادس) قوله (من زارني متممداً كان في جوارِي يوم القيامة) (السابع) قوله ما من أحد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر) انتهى

(وقال) قال ابن حجر كتاب الجواهر العظمى (اجمع الامة على ان زيارته صلى الله عليه وسلم من افضل القربات وانجح المساعي وكذلك اجمع المسلمون على فعل ذلك . فان الناس لم يزالوا من عهد الصحابة رضي الله عنهم والى هذا اليوم يتصدون زيارته صلى الله عليه وسلم من سائر الآفاق ويقطعون في قصد زيارته المسافة البعيدة والاسفار الشاقة وينفقون الاموال ويذلون المهج معتقدين ان ذاك من اعظم القربات . انتهى

(وقال) قال القاضي عياض المالكي انها سنة من سنن المرسلين . وذكر الشيخ الزرقاني في شرح المواهب اجماع السادة المالكية على وجوب زيارة القبر الشريف واقام التكميل على ابن تيمية واتباعه الذين اتهموا الامام مالك بال منع . انتهى

(قلت) اذا علمت ان الواجب في اصول مذهبنا المالكية كالفرض تبين لك ان الزيارة عندنا لا تسقط الا بالاداء .

(وقال) قال الامام النووي الشافعي والامام ابن همام الحنفي والملا لي القاري انها واجبة . وقال الامام الغزالي الشافعي في الاحياء وغيره
 بها من افضل القربات . وقال الشيخ محمد عبدالحى الكنوي في كتابه
 ابراز الغي « قد اجمع علماء الامة وافاض الائمة على انها من افضل العبادات
 ارفع الطاعات ولم يقع في ذلك اقل خلاف . انتهى »

« قلت » روى الامام مالك رضى الله عنه في الموطأ عن سهيل بن
 أبي صالح المدني عن ابيه ذكران السمان عن ابي هريرة رضى الله عنه انه
 قال كان الناس اذا رءوا اول الثمر جاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاذا اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا
 في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا . اللهم ان ابراهيم عبدك
 وخليفك ونبيك واني عبدك ونبيك وانه دعاك لمسكة واني ادعوك للمدينة
 بمثل مادعاك به مسكة ومثله معه » اهـ

قال شراح الحديث ان المراد بدعاء ابراهيم عليه السلام قوله (فاجعل
 اقنعة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات) وقد استجاب الله لحبيبه
 كما استجاب لحليله فهوت الى طيبة اقنعة المؤمنين من كل فج عميق ولن تزال
 تهوي حتى قيام الساعة بالرغم عن اتف اعدائه ولولاه عليه الصلاة والسلام
 ما كان طريقها طارق ولا زارها زائر . انتهى

(قلت) ان من لم يجاور في المدينة مدة ما اريأ فيها في الموسم لا يعرف

من احوالها والمعجزات الظاهرات فيها شيئاً . (اما وفود الزوار) فلو جاء
اعضاء الله ورسوله الى المدينة المنورة في شهر محرم حينما يأتي الزوار القافلون
من الحج وروايات الوف من مسلي كافة اقطار الارض يطوفون حول
الحجرة الطاهرة في الصباح وبعد العصر وكل منهم ينادي بانته ويتوسل
بلسانه متوسلاً بصاحب الشفاعة . لائذا بحماه وسمعو عيجهم ونحيبهم
وبكائهم ونحيبهم . لعميت عيونهم وانفطرت قلوبهم وانثقت افئدتهم وقال
العاقب منهم اكل هؤلاء الناس على ضلال ونحن على هدي . ان هذا محال
وهو لا يتصوره عقول العقلاء .

(واما البركة في الماء) فالمعجزة فيه ظاهرة لا يكابر فيها الا من اضله الله .
فماها يأتي بقناة تحت الأرض من آبار في (قبا) وبعد ما يتفرق في اقنية
في جميع جهات المدينة يخرج الى بساتين في الشمال الغربي ولو تفقدته في
كل يوم من السنة لما وجدت فيه نقصاً لا في الصيف ولا في الموسم . وآبار
السقي كذلك لا تنقص ولا تفل مهما استقوا منها .

(واما بركة الطعام) فلا يرتاب عاقل بانها كما جاء في حديث (طعام
الواحد يكتفي اثنين وطعام الاثنين يكتفي اربعة) . وكنت اسمع من اهل
المدينة انه لا يضيق العيش عليهم من شيء اكثر من خمسة ايام . فراقبت
هنا في كل نوع من الطعام فوجدته كما قالوا تماماً .

وقلت قبلاً ان من تزود التدبر رائي في الحرمين من احوال الزوار

والمجاهدين ما لا يعبر عنه بكلام . ومن ذلك انك ترى آلافاً من المسلمين البالغين آخر العمر واشد الضعف والانحطاط والفقر متعاملين من الاقطار البعيدة صابرين على مشاق فوق طاقة البشر ولا قصد لهم الا الموت في احد الحرمين والتشرف بزيارة القبر الشريف والبيت الحرام . فهذا هو الايمان الخالص وهذا مظهر دعاء الخليل والحبيب عليهما الصلاة والسلام .

فاسئل الله تعالى بجاههما وحرمتهما عنده ان يجعل ختام اجلي وحياتي على الايمان وموتي ومدفني في المدينة الطيبة المباركة .

وقلت في التوسلات المدنية عند ذكر سورة الطلاق والتحريم (ان كان بحب طيبة جازلي (طلاق) الوطن . فبجلي جمال حرما حل لي (تحريم) السكن) .

اي جزاء يطلب العاقل يامعشر الحقاء اعظم مما وعدنا الله به بقوله في سورة النساء « ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً » .

هل يرتاب مؤمن بان الله لا ينجز لنا وعده بالاجر والمغفرة والرحمة وهو عالم باننا ماخرجنا الا اليه ورسوله .

وجماع القول في هذه المسئلة التي وقع اجماع المسلمين من اهل السنة والشيعه على فضلها ووجوبها هي من جملة الامور التي خرق الوهابيون واخوانهم الاجماع بمظهرها وانكارها ومرقوا بهذا الخرق من الاجماع

وخلعوا ربة الاسلام من عنقهم والعياذ بالله تعالى .

﴿ فصل ﴾

واما زيارة سائر القبور من المسلمين في اباحتها احاديث كثيرة باعانيد صحيحة (فنها) مارواه امامنا مالك رحمه الله في باب جامع الوضوء من مؤطائه عن العلاء عن ابيه عن ابى هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون » الحديث الخ .

وهذا الحديث رواه مسلم والناضى عياض والنووي وغيرهم .

وروى الامام ايضا فيه عن ابى سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نهيتكم عن لحوم الاضغى فشكلوا وتصديقوا وادخروا . ونهيتكم عن الانتاذ فانبتذوا وكل مسكر حرام . ونهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها ترهد في الدنيا وتذكر الآخرة ولا تقولوا سوء) انتهى .

فاستللك اللهم بجاه نبيك المصطفى ورسولك المجتبي وبجرمة صاحبيه والزهراء واهل العبا وسائر الأل واصحاب والائمة الاربعة والعلماء من اهل الدين والمهدى ان تجعل آخر نفس من حياتي تحت اقدامه الشريفة على السنة والايمان الكامل وتحقق رجائي فيما ارجوه من رحمتك يا ارحم الرحمن . . . وتعفري ولوالدي واولادي واولاد اولادي واخواني واخواناتي

لأدوم ولكافة المسلمين والمسلمات وترجمنا برحمتك التي وسعت كل شيء .

﴿ البحث الثالث في التوسل ﴾

التوسل والاستشفاع والاستغفار كلها الفاظ مختلفة معناها واحد عند علماء . لكن لما كان يتطرق لفهم العوام من التوسل مالا يتطرق لفهمهم في الاستغفار والاستشفاع فذكرته في بحث على حدة وبالله استعين .

إذا نظرت بعين البصيرة رأيت أن التوسل بمبنيه اللغوي والمصطلح موس جعله الله في الكون لصالح الإنسان في أمور حياته ومعاشه في الدنيا يستغني عنه إلا من عصمهم الله . والشرع ما أنكره كما أنكره هؤلاء الخلق مع تلبسهم فيه وعدم استغنائهم عنه . ولأحسبه شركاً كما حسبه ل إباحه . لكن المنكر منه اعتقاد التأثير من غير الله وهو الشرك الخفي .

مع أنك ترى أكثر الناس واقعين في هذا الشرك الخفي سيما المعتقدون خلق الأفعال . ومنهم من يعتقد يقيناً بأن الإنسان يضر وينفع كما يعتقد بتأثير الأعراض كالعدوي والأدوية وأمثالها لكذلك لا نجد مؤمناً يعتقد بالرسول عليه الصلاة والسلام هكذا اعتقاداً . بل غاية اعتقاده التوسل بمجاهه مع التفويض لله تعالى . وإن سمعت من عالمي كلاماً يفهم منه اعتقاد التأثير فما هو إلا عن عجزه عن التعبير الشرعي لكن قلبه غير زايف . وإن رأيت يقبل الأعياب والأبواب والجدران فليس عن اعتقاد شيء بها كما يعتقد عبدة الأوثان فهذا اعتقاد لا يتطرق لقلب مسلم بل لا قصد له إلا التبرك بها .

(٦)

ترى مراسم المعايدة عند خلفاء آل عثمان بتقيل (السجق) المعلق على طر
الصدّة الجالس فيها السلطان . فما معنى هذا . معناه تقيل يد الخليفة . ف
فيه شأنيّة شرك أو كفر . . حاشا والّف حاشا . وخلفاؤنا انزه واجل
الرضا بشيء فيه شبهة دينية .

فانظر ما القبح تناقض الوهاية واخوانهم من جهة تراهم يعتقدون أنّ
الأعراض ومن جهة ينعون التوسل بالانبياء عليهم الصلاة والسلام .
وقد قلت متوسلاً وراجياً من الله تعالى الأجابة

بحق نبي قد جعلت شعاره * عبودية اعتق من النار رقبتي
بجرمة (مختار) لي اخترت اسمه * . الهي في الناحين تجعل زمركي
﴿ وقلت عشيّاً ليبي الاعرابي ﴾

ياخير من دفنت في القاع اعظمه * فطلب من طيين القاع والأكم
(ذنوبي اثقلني رحماك بي * يا شافعاً في الناس يوم لا ينفعهم)
روحي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ذكرت قبلاً قول الوهايين بتكفير من يتوسل بالرسول عليه الصا
والسلام وغيره واستدلّاهم الباطل فلا حاجة لاعادته . وكل ذي بهم
يعلم ان هذا الاستدلال تحريف للفظ والمعنى . فالله تعالى سمى عمل اول
عبادة ماسماً توسلاً ولا استغفاراً . ولا اشتراك في النسبة ولا ترادف
اللفظين فتبدل حقائق كلام الله وتحريفه كفر محض وتحريف منك

اولئك كانوا يعبدون تلك الاشياء عبادة حقيقة ويسمونها آلهة تسمية حقيقية ويقربون اليها بجميع انواع العبادة ، يذكرون اسمائها على ذبائحهم دون اسم الله تعالى ويعتقدون ان النفع والضرر والخير والشر بيد تلك الآلهة وبأمرهم . وقد فصلت كيفية عبادتهم واقسامها في كتيبي الثلاثة (رد الاقترار) و (مظهر الاحسان) و (مرشد الخيران) وهذه كلها يتبرأ منها كل مسلم .

فانما علمت هذا وفهمت كيف دخلوا بالتحريف والمغالطة على اعيانهم . فاعلم ان علمنا ما قالوا بجواز التوسل بالانبياء والاولياء وندبوا اليه من زعماء انفسهم حاشاكم من ذلك وهم امناء الدين وخلفاء الرسل بل اخذوه من كلام الله تعالى وكلام رسوله امراً وفعلاً كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى . وما ذا عليهم اذ لم تفهم وعول نجاد وجواميس مصر وبقر الشام مقاصدهم وماخذ اقوالهم .

قد تقدم آتفاً ان التوسل من ضروريات حياة الانسان الدنيوية واباحه الشرع للنافع الاخرية . قال الله تعالى (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الرسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحوا) وكذلك جاء هذا عن الرسول عليه الصلاة والسلام واصحابه قولاً وفعلاً . ومن المقرر بديهة العقول السليمة ان العاقل يقرى في حوائجه الواسطة الاقرب مناسبة وانجح وسيلة للموسوطة اليه والمطلوب منه . ولا يترتاب مسلم ان ما في الكون وسيلة اقرب مناسبة لله تعالى من تحييه الاعظم ورسوله الاكرم نبينا محمد غايه الصلاة

والسلام . بل كيف لا يكون هو اقرب الرسائل وكلام الله شاهداً له بذلك .
 « اما هو الذي قال الله له » وما ارسلناك الا رحمة للعالمين « اما هو الذي
 قال الله عنه » النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم « اما هو الذي قال الله عنه
 » لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
 رؤوف رحيم « اما هو الذي امرنا الله على لسانه بقوله تعالى » قل ان كنتم
 تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم « . فانظروا يا من خذلتم
 الله اي مقام اعظم من هذا المقام الذي علق الله تعالى محبته تعالى ومغفرته
 على اتباعه عليه الصلاة والسلام اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
 ببعض . فانظروا ما جاء بجهنم في هذه الآية .

اما هو الذي قال الله تعالى له » ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك
 فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً « . اما هو الذي
 قال الله له » فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
 في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً « . ففي هذه الآية من التصريح
 بمقامه العظيم ما لم يكن مثله لني مرسل او ملك مقرب . قال الامام القسطلاني
 في شرح المواهب . سلب الله اسم الايمان عمن يجد في نفسه حرجاً من قضاء
 رسوله . ثم انه - سبحانه - لم يكتف بنفي الايمان عمن يجد حرجاً في نفسه من حكم رسوله
 حتى اقسام على ذلك بالربوبية الخاصة به عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك
 اظهر غاية العناية به عليه الصلاة والسلام . اذ جعل حكمه حكمه وقضاه

قضاءه وأوجب على العباد الاستسلام لحكمه ولم يقبل الأيمان بالهيئة
تمالى حتى يدعنا لأحكام رسوله . انتهى

فهذه بشرى أزفها لكم يا وهايون لتكونوا على يقين بان ايمانكم بالله
وبالقرآن لا يفيدكم شيئاً ما زلت معادين رسوله ومتمردين عليه .

ولست احكام هذه الاية مختصة بنزلت بمفهم بل تشمل كل من
يؤثر قوانين البشر واحكامهم على احكام رسول الله ويزعم ان الزمان اقتضى
ذلك ولو آمن بالله ورسوله حق الايمان لوجد كما يقتضيه كل زمان وكل
مكان وكل شعب في شريعة الله . فنجوذ بالله من الضلال على علم او على جهل .
اعلم يا اخي انه لما كانت الرسالة تبليغاً بالأمر والعمل فالرسول عليه
الصلاة والسلام كما يبلغ الامة كل امر شفاهي كذلك بلغهم بالعمل ليكون
اقتدائهم به واخذهم عنه جامعاً بين الامر والعمل الا ما كان من محض صانته
الناية فكان ينههم عما فيه مشقة عليهم اذا قلده فيه ويسكت عما لا مشقة
فيه . ومن ذلك ما نحن بصدده واليك بيان ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام
في معنى التوسل اليه استند علمونا وبه اقتدوا .

(الاول) في البخاري في باب تعاون المؤمنين عن محمد بن يوسف
عن سفيان عن بريد عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري قال (وكان النبي
صلى الله عليه وسلم جالساً اذ جاء رجل يستل او طالب حاجة فاقبل علينا

صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال اشفعوا فانتوا جبروا ويقتضي الله على لسان نبيه ما شاء (انتهى)

(الثاني) وفي هذا الباب قال القسطلاني في قوله تعالى (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) ان الله بين في هذه الآية جواز الشفاعة في جلب نفع او دفع ضرر لم يكن فيه ابطال حق ولا منع حد شرعي ولا نفع ذاتي . فان كانت في خير كان له ثواب ذلك وان كانت في شر كان عليه من وبالها . انتهى

(الثالث) اخرج ابن ماجة والحافظ والبيهقي عن ابي سعيد الخدري . والسيوطي في الجامع الكبير عنه ايضاً . وابن السني عن بلال قال (كان اذا خرج عليه الصلاة والسلام الى الصلاة قال (بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله . اللهم اني اسئلك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا اليك فاني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً خرجت انقاءً سخطك واجتباءً رضائك اسئلك ان تعيدني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت) اهـ

في هذا الحديث ثلاثة ادلة لنا (الاول) توسله عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين المعبر عنهم بالسائلين وهو افضل خلق الله واغنى الخلق عن الخلق . فكيف لا نتوسل بمجاهه ونحن افقر الخلق الى جاهه . وبهذا نص صريح بجواز التوسل بالانبياء وما دونهم من كل مؤمن (الثاني) وهو ابلغ بالتجاوز

يسله عليه الصلاة والسلام بشي مجازي وهو (المخرج) بنصب الميم والراء
(المخرج) برفع الميم وكسر الراء (الثالث) ايراد التوسل بصيغة القسم
في قوله (بحق) فهذا ابلغ واعظم في التدلل على الله تعالى من صيغة الرجاء .
(الحديث الرابع) اخرج الطبراني وابن حبان والحاكم وابو نعيم
السيوطي في الجامع الكبير وكلهم عن انس رضي الله عنه . وابن عبد البر
بن ابن عباس رضي الله عنهما حديث حضوره عليه الصلاة والسلام دفن
بألمه بنت اسد والدة سيدنا علي رضي الله عنهما ونزوله في قبرها وقوله
: اغفر لامي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين
بن قبلي) اهـ

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوسل بنفسه والانبياء كلهم
وكانوا امواتا . وقوله (أخي) ليس انها ارضعته كما زعم بعضهم فلو ارضعته
لما جازت ابنته لامي رضي الله عنهما بل لانها كانت حاضنة له بعد وفاة
والدته حينما كان بجبر عمه ابي طالب .

(الخامس) اخرج الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني عن عثمان بن
حنيف رضي الله عنه ان رجلا ضرباً اقر النبي عليه الصلاة والسلام فقال
ادع الله ان يعافيني . فقال له ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير
لك . قال الرجل فادعه . فامر ان يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو الله بقوله
« اللهم اني استألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك

الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعة بي « فعاد اجل وقد ابصر . انتهى
واخرج هذا الحديث البخاري في تاريخه وابن ماجة والحاكم في المستدرک
والسيوطي في الجامعين وشاع هذا الدعاء بين الصحابة حتى استعملوه
فيما بينهم .

(السادس) روى البيهقي وابن ابي شيبة ان الناس اصابهم فحط في
خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا . فسقام الله في الحال .

(السابع) روى البخاري في الاستسقاء عن انس رضي الله عنه ان
الناس اصابهم فحط في خلافة عمر رضي الله عنه وهو عام الرمادة . فاخذ
عمر يد العباس رضي الله عنهما والناس خلفهما فوقف وتوسل لله تعالى
بحرمة عم نبيه عليه الصلاة والسلام فما قولوا حتى سقام الله . اهـ

قال القسطلاني في شرح هذا الحديث ان عمر رضي الله عنه قال
يا ايها الناس ان رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به
في عمه واتخذوه وسيلة الى الله تعالى .

« الثامن » حديث استغاث آدم بالرسول عليهما الصلاة والسلام .
وهذا الحديث من نوع المتواتر عند جمهور المفسرين والمحدثين بطرق عديدة
عن عمر رضي الله عنه . والحجة البالغة في هذا الحديث هي ان الرسول عليه
الصلاة والسلام كان في عالم الغيب فهنا ابلغ في الحجة مما كان بعد وفاته

« التامع » مروه البيناري وجهور اهل الحديث في حديث الشفاعة ان الخلق بينا هم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى وكلهم يعتذرون فيقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون اليه فيقول (انها انالها) الحديث . وقد سلم ابن ابيية بهذا الحديث وما كابر بانكاره « العائصر » روى الطبراني عن زيد بن عتبة ان النبي عليه الصلاة والسلام قال « اذا اضل احدكم شيئاً او اراد عوناً وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني فان لله عبداً لا يرام » انتهى

فهذه عشرة من مئات وفي كل واحد من هذه العشرة معنى من معاني التوسل . وازيدك اقتناعاً ان شاء الله بمثل اضريه لك من نفسك . وهو لو قال لك السلطان قد امرت وزيري فلاناً بان يرفع لي حوائجك فاقضى منها ما اريد وارد ما اريد فرفع انت حوائجك اليه وهو يرفعها لي . فهل ترى من الأدب والطاعة والخزم امتثال امره واطاعة مرسومه ام رده ومخالفته بقولك لا افعل ذلك ولا يكون بيني وبينك واسطة لاني اعتقد ان فيه شرك بسلطانك . أخالك تدرك ما في هذا الرد من القبح . لأنك خالفت الأمر وتمردت عن الطاعة واستحققت مقام الوزير وزعمت انك اعلم من السلطان بما يحسب شركاً في سلطانه وما لا يحسب ولعمرك ان فعلت ذلك وقعت في مثل الحفرة التي وقع فيها ابليس وانت تحسب انك احسنت صنعاً . فتأمل ارشدني الله وابالك والحمد لله على احسانه .

واحذر يا اخي من دسائس الشيطان ووساوسه . فانه كثيراً ما يدخل على الانسان من باب الطاعة وامثاله ليخرجه من دينه او يرميه في معصية او ينهيه عن معروف .

وقل الشمراني رحمه الله في الجواهر واليوافق عن الفترحات المكية ان الله اعطى ابليس قوة تمكنه من تصوره يرسمه وعرش وكروسي يخاطب منهن من يريد التدليس عليه من الاولياء والعباد بلسان الله يلقى اليه اوامر مخالفة للشرع فيلبس عليه الامر فيظن او يعتقد ان الخطاب صادر من الله فيقع في شر عمله . وحيث ان باب الوحي سد بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام فكل من يدعيه ان كان مكلفاً ضرر بنا عنقه والا ضرر بنا عنه صفحاً . انتهى

﴿ البحث الرابع في الاستغفار والاستشفاع ﴾

وان كان فيما تقدم عن التوسل كفاية لاثبات جواز الاستغفار والاستشفاع لكي رأيت في كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ما انفرد معناه عن معنى التوسل الذي يذهب اليه العوام كما تقدم فافردته في هذا البحث وبالله المستعان .

﴿ سؤال ﴾

هل جاء في القرآن العظيم والحديث الشريف وقوع الاستغفار والاستشفاع من الانبياء وغيرهم لاحد من الناس « فان قلت » نعم « قلنا » حيث ان الوهابية واخوانهم لا ينكرون هذا النوع لكنهم يحظرون طلبه بواسطة

حد . فهل جاء في القرآن العظيم والحديث الشريف ما يبيح الطلب .

— الجواب —

ان كلا النوعين وارد في القرآن العظيم والحديث الشريف . وفي بعض ما جاء فيهما ليس اباحة فقط بل أمر بالطلب ولا يخفالك ان كل ما جاء بصيغة الامر قد يكون فرضاً وقد يكون واجباً . واليك بيان كل نوع على الترتيب .

﴿ النوع الأول ﴾

(الشاهد الاول) قال الله تعالى في سورة المؤمن (الذين يعملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) الى اخر الايات الثلاث . ففي هذه الايات جمع الامور الثلاثة . (التوسل) بقولهم (ربنا وسعت كل شيء) وطلب (المغفرة) بقولهم (فاغفر) و (الشفاعة) بقولهم (وادخلهم) وقيمهم (السيئات) فهذا ما اخبر الله به عن حملة عرشه وغيرهم . ومثل هذا في اول سورة الشورى .

(الثاني) قال تعالى في سورة الشعراء عن لسان خليله ابراهيم عليه السلام (واغفر لاني انه كان من الفضالين ولا تخزني يوم يبعثون) فهذا الخليل عليه السلام مع علمه باصرار ابيه على الشرك ما ترك الالتجاء الى ربه بشفاعة ابيه . وهذا الطلب من الخليل جاء في بضع مواضع من القرآن .

(الثالث) قوله تعالى في سورة هود فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشري بمجادلنا في قوم لوط () قاله تعالى ما انكر على خليله شدة

الحاحه في منم العذاب عن قوم لوط بل اثني عليه بقوله (ان ابراهيم لحليم
اواه منيب) وهذه المدافعة تكررت منه أيضاً عليه السلام .

(الرابع) في سورة التوبة قوله تعالى (استغفر لهم اولا تستغفر لهم)
ورد في تفسيرها ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال لو علمت ان الله يغفر
له (اي ابي بن سلول) ان زدت عن سبعين مرة لفعلت . او كما قال

(الخامس) في سورة الاعراف (انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الراافرين) فهذا موسى عليه السلام يطلب لقومه مغفرة ذنب طابهم
روية الله تعالى وعبادتهم الشغل وما انكر الله عليه ذلك بل اجاب على
الشروط المذكورة بهذه الآية .

(السادس) في سورة نوح عليه السلام « رب اغفر لي ولوالدي ولن
دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات » فهذا نوح خصص اولاً وثانياً
وثالثاً وعمم في الرابع

(السابع) في آخر سورة المائدة قول المسيح عليه السلام « ان تعذبهم
فانهم عبادي وان يغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » فهذا المسيح عليه السلام
يطلب المنفرة لقومه فهذه شفقة الانبياء والرسل ورحمتهم بأممهم مع عظيم
ما يفعلون وقبح ما يعتقدون فاي خسران اتبع ممن يجحد عن سنتهم ولا يجعلهم
وسيلة الى ربه ﴿ النوع الثاني ﴾

« الشاهد الاول » قال تعالى في سورة الاسراء عن الوالدين (وقل

رب ارحمهما كما ربياني ضيقاً ، فالله تعالى اوجب علينا ان نستغفر رحمة
بائنا ونستغفر لهما .

(الثاني) في سورة النساء قوله تعالى « ولوانهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ووجدوا الله تواباً رحيماً » قالت الوهابية
واخوانهم ان هذه الآية خاصة بالناقين وفي حياته عليه الصلاة والسلام
« قلنا » هذا الحضر باطل من وجهين « احدهما » ان المناقين الذين زعم
الوهابيون انها زلت بحقه قد منع الله في سورة التوبة الاستغفار لهم
وتقدم انفا « وثانيهما » قال جمهور من المفسرين منهم الفخر الرازي ان هذه
الآية التي بعدها من العام النازل في الخاص . وهذا كثير في القرآن
العظيم .

« الثالث » في سورة المنافقين (وذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول
الله لو اولوا رؤسهم) الآية . جاء في تفسيرها ان الصحابة شفقة على المنافقين
دعوه لان يطالبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام ان يستغفر لهم فابوا
واستكبروا فنزلت السورة في حتمهم فكانت سبب اخلاص عبد الله بن ابي
رضي الله عنه باليمانه واصرا ابوه على نفاقه حتى هلك . فهل كان الصحابة
رضي الله عنهم لا يفرقون بين ما فيه شرك وبين ما لا شرك فيه .
سبحانك ربي .

(الرابع) في آخر سورة النور قوله تعالى (فاذا استأذنوك لبعث شأنهم

فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله عفور رحيم . اعلم يا احي ان ما من جملة او كلمة من كلام الله تعالى الا وللفظها مفهوم . فمفهوم قوله تعالى (ان الله عفور رحيم) بعد الأمر بالاستغفار لهم تحقيق المغفرة لهم . فاي نعمة تعادل هذه النعمة العظمى التي حصلت لنا بواسطة هذا النبي الرؤوف الرحيم . فالله الكريم أمر رسوله الرحيم بان يستغفر لنا ونحن نتكبر عن طلب ذلك منه بل نحسبه شركاً . نعوذ بالله من الكبر والعزور .

(الخامس) ومثل الآية المتقدمة لكنها اعم منها واوسع فضلاً واحساناً قوله تعالى في سورة محمد عليه الصلاة والسلام (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) . قلت اوسع فضلاً لأن الله تعالى امره بادخال المؤمنين والمؤمنات مع ذاته المقدسة في دعائهم لتكون الاجابة عنهم محقة بسببه عليه الصلاة والسلام . فتأمل . وهذا استنباط القام الـ في روعي ولم اره في كلام احد .

(السادس) قوله تعالى في سورة يوسف (قالوا تالله لقد آثرك الله علـ وان كنا لحاظئين . قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) . قلت كان مفهوم اعترافهم بذنوبهم طلب العفو عنهم والانياء عليهم السلام اعفـ الناس ادباً مع الله تعالى فما قال لهم قد عفوت عنكم بل قال « يغفر الله لكم فحصل لهم المطلوب والله اعلم .

(السابع) قوله تعالى في هذه السورة (قالوا يا ابنا استغفر لنا ذنوبنا)

كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم . فهو اول الاسباط الذين ذكر الله نبوتهم في كلامه العزيز يطلبون من اخيهم ومن ابيهم النبي العظيم ان يستغفرا لهم . وهما وعدوهم به واخوهم أكد لهم المغفرة بقوله (وهو ارحم الراحمين) وابوهم ايضاً منهم بقوله (انه هو الغفور الرحيم) وكلاهما ما أنكر عليهم هذا الطلب ولا قالاً لم قد اشركتم وكفرتم باتخاذنا واسطة بينكم وبين الله تعالى . فاحكم ايها العاقل هل الأخذ بكلام الله والمثل او امره ومتبع آثار انبيائه يكون مشركاً مرتداً ام جاحده ومحرّف الفاظه ومعانيه وناذب سنة الانبياء ومستحق مقامه الرفيع هو المشرك المرتد المطرود والعياذ بالله تعالى .

(واما ما جاء في الحديث) الشريف فلا يمكن استقصاءه لكي اذكر ما فيه كفاية لمؤمن وشامل للاقسام المتقدمة ان شاء الله تعالى .

(الشاهد الاول) روى مسلم رحمه الله عن عمر رضي الله عنه حديثاً طويلاً ما له ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال لعمر وعلي رضي الله عنهما اذا لقيتما اويس القرني فاسألاه ان يستغفر لكما . فلما جاء اويس رضي الله عنه الى المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه ذهب اليه فاستغفر لهما .

(الثاني) انثر السير النبوية واخبار الصحابة ووفود المسلمين اليهم كلهم كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام ان يستغفر لهم وهو يفعل وما صد احداً منهم قط ولا أنكر عليّ احد منهم .

(الثالث) روى البزار وأبو منصور البغدادي وابن سعد عن ابن مسعود رضي الله عنهما والسيوطي في الجامع الصغير عن جماعة حديث « حياي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت حرفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خير الحمد لله تعالى وإن رأيت شراً استغفرت لكم » اه
ففي هذا الحديث فائدتان أحدهما الاستغفار والثانية حياته بعد وفاته عليه عليه الصلاة والسلام .

(الرابع) روى أبو داود في سننه بسنده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن امرأة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم (صل علي وعلى زوجي) فقال صلى الله عليه وسلم (صلى الله عليك وعلى زوجك) اه

وقد تقدم في بحث التوسل عدة أحاديث شاملة لهذا المعنى فارجع إليها . فهذه الآيات والأحاديث جامعة صريحة برد كل ما يزعمون . لكن ما الحيلة وقد اتهم الله بصائرهم وختم على قلوبهم ان لا يسمعون له بل نعم اضل سبيلا)

• ﴿ البحث الخامس في الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام ﴾
قد علمت مما تقدم ان الوهابين واخوانهم قالوا بتحريم الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام تركيبي من يفعل ذلك . وهذا كفر صريح منهم لانه انكار لأمر واجب في محكم القرآن العظيم وهو قوله تعالى في سورة الاحزاب (ان الله وما لا تكنته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا

بلوا عليه وسلموا تسليماً) فهذا نص محكم فرض الله به على كل مسلم الصلاة
ن النبي عليه الصلاة والسلام ولوفي البحر مرة . فهذه الآية كافية لنا
ن كل دليل .

وأما الأحاديث الواردة بفضل الصلاة عليه وما بها من الخيرات فهي
كثير من ان تجمع في مختصر مثل هذا والعلماء قد جمعوها في مؤلفات
مديدة . وناهيك من دلائل الخيرات وما في تلاوته من الخيرات وشروح
الصلوات المشيشية وعدة رسائل للإمام السيوطي رحمه الله والشيخ يوسف
النبهاني حفظه الله فمن شاء فليرجع اليها فيسفي من انوارها ويرتوي من
رحمتها . اي غبطة لنا اجل واعظم من حديث « من صلى علي مرة صلى
الله عليه بها عشرا » وانت تعلم ان معنى الصلاة من الله تعالى الرحمة . ورحمة
الله للمؤمن مرة كافية لبعائه فما قولك فيما اذا حصلت له مئات أو ألوف .
فأي نعمة تماثلها . وفي بعض روايات هذا الحديث « ان من صلى علي ألف
مرة زاحمني » أو زاحمت يده يدي « على باب الجنة » أو ما في معناه .
قال السيد احمد دحلان رحمه الله . وحاصل مذهب اهل السنة
والجماعة (والشيعه أيضاً) صحة التوسل بوجوهه بالنبي عليه الصلاة والسلام
في حياته وبعد وفاته وكنا بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين كما دل
عليه الآيات والأحاديث التي لا تحصى . لأننا ممانر اهل السنة لانتقد
تأثيراً ولا خلقاً ولا نفعا ولا ضرراً لغير الله وحده لا شريك له . ولا فرق

عندنا في التوسل بالنبي وغيره كما لا فرق بين كونهم احياء او امواتاً لأننا نعلم ان لا تأثير لهم بشيء وتوسلنا بهم هو لكونهم مقربين عند الله تعالى مكرمين لديه . ولا نزاع بأن جاههم عند الله محفوظاً بعد موتهم كما كان في حياتهم . وهذا ليس فيه شيء من الشرك . لكن الشرك المحض هو عند من يجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات ويعتقدون ان لهم تأثير ويبدم نفع وضرر . بل يعتقدون تأثير الاعراض والجمادات كالعدو وامثالها والتوسل والتشفع والاستغاثة كلها عندنا بمعنى واحد والفاعل المطلق هو الله تعالى . انتهى

ثم اطال رحمه الله تعالى الكلام في الرد على ما ينسب للعصوام من الاقوال والاعمال التي يتوهمها الخصم من المكفرات وما هي من ذلك بشيء . فانظر كلامه ان شئت من تاريخه للبيت الحرام . فهذا آخر ما نفع الله به علي ووقفني اليه . ولا حول ولا قوة الا بالله . وهو حسبي وعليه توكلني . والحمد لله حمداً يوافي نعمه . ويوفي شكره . والصلاة والسلام على سيدنا فحسينا ووسيلتنا وشفيعنا محمد رسول الله وحبيبه وعلى آله واصحابه اجمعين



قد اعان الله ووفق لانتظام تأليفه في ثلاث بقين من شهر شوال سنة
الف وثلاثمائة وست وعشرين هجرية . ثم اتهمت ببيعته وتقييده
في اواسط سنة ٢٠٠٤ وعشرين والحمد لله على احسانه

كتبه بقلمه مؤلفه الفقير لعمو ربه ورضائه ورضاء

رسوله وحبيبه الحاج مختار بن الحاج احمد

المؤيد العظمي غفر الله له ولوالديه

والولاده واخوانه وجميع المسلمين

آمين



التوسلات المذنيه باسماء الله الحسنى
وجاه خير البرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة تعظيماً لمقام خير خلقه . وخصنا باسماء
الحسنى والتوسل بها تكريماً لحبيبه . قال جل جلاله « ولله الاسماء الحسنی
فادعوه بها » . وخصه بالوسيلة والشفاعة والاستغفار لكل مؤمن به .
حيث قال جل وعلا « ولو أنهم اذ علموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » . صلى الله عليه وعلى آله
وامصحابه عدد ما كان وما يكون الى يوم القيامة .

« اما بعد » فالسبب في تأليف هذه الرسالة المباركة ان شاء الله . هـ
اني في اثناء مجاورتي في المدينة المنورة في سنة « ١٣٢٩ » حدث لي حادث
يكن لي فيه حيلة ولا سبب فالتجأت للتوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام مدة
التي في روعي تأليف هذه الاستغاثه وان اجمع فيها اسماء الله الحسنی واسم
الرسول عليه الصلاة والسلام واسماء سور القرآن العظيم . فاستغثت الله
تعالى وتوكلت عليه واستمدت من روحانية حبيبه عليه الصلاة والسلام . وبه
اتمامها سميتها « التوسلات المدنية » باسماء الله الحسنی وجاء خير البرية « و
تكلفت فيها السجع خوفاً من التكلف والتعهد بل تركته عفواً ان جاء ملائمة
لكنتي تكلفت ايراد اسماء الله واسماء الرسول والسور على ترتيبها جم
الامكان . راجياً من الله تعالى الاجابة والقبول . وكل الاسماء تجدها يا
هالين تميزاً لها . ثم بعد الابتداء بها رأيت في نومي اني واقف تجاه الحجرة الشريفة

ادعوا واتوسل فتدكرة البتين الشهيرين للاء إني فلما انشدت الاول منهما وهو

« ياخير من دفنت في القاع اعظمه * فطاب من طهين القاع والأكم »

جرى على لساني بدون قصد ولا تصورييت وهو .

« ذنوبي اثقلتني رحماك بي * يا شافعا في الناس يوم لا ينفعهم »

وانتمت البيت الثالث وهو

« روحي الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم »

فانتهيت من نومي وانا حافظه فالحقت هذه الحادثة ههنا ومثل هذه

الحادثة وقع في نظم البيهين المذكورين في رسالة (جلاء الاوهام)

فانهما في المنام ايضا . ثم رأيت اياتا لاحد الافاضل انتظم في هذا المقعد

وترجم عن حالي وهجرني لهذه المدينة الطيبة فاضفتين اليه . وهن

ياخير من دفنت في القاع اعظمه * انت المراد وانت القصد والسؤل

انت الذي لم يخف في الناس قاصده * وليس عندك تسويف وتسويل

قصدت جاهك لا ارجو سواه ولي * في باب عزك ترديد وتطفيل

انفقت عمري في لعب وفي لعب * وليس لي غير هذا الجاه تحصيل

وليس لي عمل ارجو النجاة به * والعفو عند رسول الله مأمول

ولن يضيق رسول الله جاهك بي * فانه لجميع الخلق مبذول

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت بيسم (الله) و (الحمد) له . والتوسل (بمحمد) الموصوف في

سورة البقرة

ثم صلاة (البر الرحيم) علي (احمد) الهادي الى الصراط المستقيم.
ارسله (الملك الرحمن) (حامداً محموداً) ولا (آل عمران) (عاقباً)
ومزكياً جميلاً

دعاه (القدوس السلام) (ماحيًا) للشرك (حاشراً) لدار السلام . هم
(الوحيد الأحميد) الذي لم تلد (النساء) مثله مولوداً .

سماه (المؤمن المصور) (طاه وآيس الطاهر) وانزل عليه (المهيمن)
(مائدة) الاكرام الباهر .

براه (البارئ) (طيباً) وجباه يهدي (الانعام) لله مقرباً .
هو (الرسول مطهر) (الاعراق) (والاعراف) اذ خصه (الخالق)
با (لأنفال) و (سيادة الاشراف) .

بعز (القيم) يا (عزيز) اعزني . وبا (الجامع) يا (جبار) اجب
عشرقي . هب لي يا (تواب) (توبة) (يونس) العتيق . واغفري (غفار)
لوالدي واولادي وكل صديق .

(برسول الملاحم المفتني) خذ يا (متكبر) يدي واعن ضعفي . اليك
يا (قهار) يا (لقفي النجى) فيجاء (المزمل المدثر) اجعل رداء تزملي .

يجاء (هود) وسائر الانبياء افق لي (يافتاح) ابواب الصفا
وبا (كليل) حسن (يوسف) (الكامل) . هب لي « يا وهاب » مواهب

الوفاء (برسول الراحة) اجعل يا « رزاق » رزقي رغدا . ومن علمك يا « عليم »
علمني ما في تسبيح « الرعد » من اسرار الهدى .

على ملّة « ابراهيم » اقض يا « قابض » روحي . وعلى سنة « عبد الله »
وحبيب الله خاتم النبيين « اختم اجلي » .
يا « باسط » عيش « صني الله ونجي الله الكليم » ابسط لي العيش
الهنّيّ السليم .

يا « خافض » اهل « الحجر » ومدمرم . اخفض عني جناح الاعداء
ومسيطرهم . يا « رافع » ارفع « بخاتم رسل الله » ذكرّي . واحي بحب
« المذكر محي الدين » قلبي

اذقني يا « معز » شهد « نحل » عز اليقين . وألبسني يا « مندل »
ثوب القناعة والتكفين .

بنصر « الناصر » أيد يا الهي نصري . وبجاء « المنصور » اعني
« بامعين » على نفسي .

اليك « ياسميع » استشفع « بني الرحمة » . واليك اتوسل بمن خص
بالبراق و « الاسرى »

« بني التوبة » يا « بصير » قبل توبتي . والي « كهف » عزك يا
« حكم » أوّلي عترتي .

« بمرم » البتول . وذكر يا الشكور . واسمك « العدل » ويحيي المحصور .

و « طه المعلوم » عند الامم « الجر يص علينا الشاهد » لنا « الشهيد » علينا .
 « الشهير » بالبقاء على « الانبياء » المشهور » في الذرارة « البشير المبشر »
 به في الانجيل . رب لا تذرني فرداً وانت خير الوارثين

« لطيف » بحالي راحم لشكيتي . « خير » بضعفي ان تغايقت حلالا .
 اللهم بحرمه خليك الذي بوئت له مكان بيتك . ليؤذن في الناس
 « بالحج » اليك . وحيبك (المنذر النذير مصباح الهدى) الذي به اطلع
 (المؤمنون) (النور السراج مهدي) المتقين الى صراطك المستقيم . اترقلي
 بصفا المروة والركن والمقام . واغسل ادران صدري بزمزم البيت الحرام .
 وعرفني بعرفاتك حتى اعرفك حق معرفتك . واقربني الى مزدلفات مشاعر
 ذكرك . فأصبح على منى التحلل من ذنوبي بالافاضة الى كعبة عفوك .
 معتزاً من زاهر حلك . متبرداً لامين حرمك . آياً لاهلي بحمل احسانك .
 موقراً راجلي من زاد نعمك . لاحقاً بعبادك الصالحين . في بقع طيبة
 بجوار آل بيت سيد الخلق اجمعين .

استألك يا (حلیم) يا (عظیم) (بالداعي) الى سبيلك (المدعو) الى
 ما فوق سماواتك (المنير) بنوره ظلمات الكون ان تير قلبي (بنور) مبارك
 (فرقانك) المنزل . وتحشرنني يا (غفور) تحت لواء رسولك (الهيب المهاب
 الحفي العفو) المرسل .

اولئى يا آلهى (بولي الله القوي) قول الحق . ولشكر نعمك وفقني

يا (شكور) بالصدق . وعلى سنة رسولك (المكين) مكّي من عبادتك ولا
تجعلني من الذين يتبعون (الشعراء) ويرجون الخلق .
مثلك يا (جلي) يا (كبير) اعلاء دين نبيك (الأمين المأمون) على
أكل دين . وتعظيم شريعة رسولك (الكريم المكرم) إلى يوم الدين .
اسئلك (يامقيت) الطير في مسارحه . و (حفيظ) (التمل)
وهادية لمنافعه . ان تحفظني وآلي من الفقر والحرمان . وتغنينا بفضلك
عن كل انسان .

(بفضص) وحيك لرسولك (المين) اوجبل قربك (لذي القوة المتين)
اوصلني لجوار حبيبك (الموئل الوصول) وكن حسبي في الحياة والمات يا
حبيب بسر (العنكبوت) الخيم على (ذي الحرمة والمكانة) في الغار . ارفع
قدري يا (جليل) واعصمني من النار .

بعزك الذي اخضعت به (الروم) (لذي العز والفضل) فاصبح
(مطيعا) لجلالك (مطاعا) في اولياتك . كن لي يا (كريم) مكرما .
ولدعالي (ياغيب) محببا . واجعلني يا (رقيب) لتجليات جلالك مراقبا .
اسئلك اللهم بمن ارسلته (رحمة للعالمين) ونعمة الله (على الخلق) وهديته
الله (للمؤمنين) وبشرى الله (للمتقين) ان تحيني على الاستمسك (بالعروة
الوثقى) حتى افانك على سنة (صراط الله المستقيم) .

اليك يا (غياث) المستغيثين ايت مهاجرا . ولباب جودك يا (غوث)

الصافات (ارجو ارواء قلبي .
 بصاد (صالح) و (صاد) القرآن . (ومصلح) القلوب ومطهر الجنان .
 هب لي يا آلمى منزلاً في الجنة مع (زمز) حملة القران .
 بصدق (الصادق المصدق) صل يا (متين) جبل قريبي . (وبسيد
 المرسلين) يا (ولى) تولى امرى .
 اسئلك يا (حميد) التوفيق لحمد نعمك . والافتداء يا (مام المتقين)
 في اداء شكرك ومطاعتك .
 اسئلك يا (محصي) اعمال الخلق (بنخليل الله قائد الغر المحجلين) ان
 تعصمني بما عصمت به (مؤمن) آل فرعون . وتعلمني (مفصلات) كتابك
 فائقة في الدين يا (مبدي) الخلق من العدم بارادته . و (معيد) هم بعد
 الفناء بقدرته . وناصر عبده « الير المير الوجيه » ملائكته . آيد دينك وانصر
 خلفائك بنوي « الشورى » الذين وصفهم بكلامك . ووعدهم النصر ان
 قاموا بنصرك . واحى يا « محي » قلوبهم باتباع « الوكيل الناصح النصيح »
 عليه صلاتك وسلامك . آميت يا « مميت » حب « الزخرف » من نفسى .
 واحى يا (حي) بذكرك روحى . اثم يا (قيوم) بجاه عبدك (المتوكل) على
 باب التوكل كسي . وبا (لكفيل الشفيق) ارجد يا (واجد) من حيث
 لا احتسب رزقي .
 مجدك يا (ماجد) كن لي مجدا . وتحت لواء (مقيد السنة المقدس)

كن لي حائرا .

(بروج القدس) اجزني يا (صمدُ يوم تأق السماء) بدخان (والام
جائئةُ بين يديك) يتظرون فصل قضائك . ومن عارض (الاحقاف)
يعافون شديد عقابك .

بسر سورة (محمد) كن يا الهي على (روح الحق) لهذه الامة جامعاً .
وعلى (روح الفسط) كن يا (احدُ) لقلوب المسلمين مؤلفاً .

بجاه نيك (الكافر المكشفي) اكفني عن سواك . وعلى سنة
(البالغ المتبلغ) ابلغني يا (قادر) دار السلام .

اسئلك يا (مقتدر) بشاف (القلوب شفاء قلبي . وبجبل (الراحل)
الك (الموصول) بك وصل جبلي .

(بالفتح) المبين (للسابق) بين انبيائك . افتح لي ابواب السعادة
فاكون مع (سابق) المتقين الى (حجرات) النعيم

« بقاء » قرآنك يا « مقدم » قدمني . ولا رذل العمر يا « مؤخر »
لا تؤخرني . وبا « الهادي المهدي » الى سبيل الرشاد اهديني .

بهر عز « المقدم العزيز » أجر يا « اول » بين السابقين « ذاريات »
عزي . وبانس حب حبيبك « الفاضل المفضل » ان من تجليك « طور »
قلبي . واحفظني يا « آخر » من اندكالك جبل قربي .

قسماً « بفتاح رحمتك . زفافك » ابواب جنتك « بفتاح » دهرتك .

يا هوى (نجم) ايماني عن تنزيهك يا (ظاهر) ولاضل قلبي عن توحيدك يا
باطن) . فهب لي التقرب من (مفتاح الجنة) تحت لواء (علم الايمان)
لثقتي (علم اليقين) من بحر علمك يا (متعال) .

اصثلك يا (والي) امري الهداية الى سبيل (دليل الخيرات) حتى
لعاك يا (روؤف) مطهراً من السيئات .

لا تنجب اخا التهي من (الحكم البر) إذ قابل انشقاق الصدر
بانشقاق (القمر) . فالجزء بالمثل من العدل . بل الصدر كان افضل من
البدر (حكمة بالغة فما تعني النذ) .

أقل يا (غفور) بحق (مقبل العثرات) عثرتي . وصبغ يا (غفور)
بحرمة (مصصح الحسنيات) حسناتي . واصفح يا (صفوح) بآل البيت عن
زلي . ونقبل يا (تواب) توبتي . ولا تقطع من رحمتك املي .

بسورة (الرحمن) علمني يا (مالك الملك) تأويل القرآن . ويجوار
(ذي المقام) المحمود انزلني منزل ذوي العرفان .

المحي بجاه (ذي الشفاعة) اجرني من (واقعات) القيامة . واجعلني
من ثلة اصحاب الجنة .

استلثك يا (ذا الجلال) بدواد الذي انت له (الحديد) و (بذي
القدوم) الذي لأن له الصفا . وقطع بفصاحته السن (مجادلة) الفصحى ان
تجعله القسط . يا (مقسط) شعاري . وتجمع سيف (الحشر) يا (جامع)

(بندي العز والمجد) شملي . وتطلق (المحبته) القبر بالشهادتين لسانی . من
لي يا الهي يوم (الصف) غير (ذي الشرف والوسيلة) وسيلة اليك . ومن
لي يا « غني » غير « صاحب الفضيلة » موصلًا لباب فضلك .

بسر جمع (الجمعة) اكنمني يا (مغني) عناء العيال . و (سيف الله)
المسلول على (المنافقين) امنع عني يا « مانع » كيد كل محال . وبوقار
« صاحب الأزار » استرني يوم « الثنائين » برداء الجمال .

ان كان يحب طيبة طاب لي « طلاق » الوطن . فبتجلي جمال حرما لندني
« تحرير » السكن .

الهي بقاء حرمة (صاحب الحجة) وسين سلطان (صاحب السلطان)
أيدي (تبارك الملك) حتى يوم السؤال . وانفعني يا (نافع) بتلاوة القرآن .
(بنون قلم) كن . ولوح اثبات لن يكن . نجني يا (ضار) من (الحاقة)
وارفع بجاه (صاحب الدرجة الرفيعة) درجتي الى (معارج) الرضى .
وألبسنني رداء حب آل (صاحب الرداء) .

استلک يا « نور » السماوات والارض . ومسخر الفلك « لنسوح »
و « الجن » سليمان . وواهب الكمال لصاحب « الحاج والمغفر » يا « لمزمل »
المدثر « نورا تير به يوم « القيامة » « انسان » عيني « لرسلات » « النبأ »
العظيم . وموفقاً بجوار « صاحب اللواء والمعارج والقضيب » لا « نازعات »
في كتابي . ولا « عبس » في حسابي . واهدني يا « هادي » يوم « تكوير »

شمس و (انفطار) قلوب (المطففين) يا (نشأت) (بروج) السماء
(طارق) العقب . الى (نسيحك) باعلا اسمائك . واقفاه اثر (صاحب
لراق) المميز عن الخلق (بالخاتم والعلامة وفصحى اللسان) .

ابنك اللهم بجمرة (صاحب البرهان والبيان) ان تصون وجهي يوم
الغاشية من النار . وتجعل حجتي في حسابي (كبحر) انهار . وختم
يأتي في (بلد) (مطهر الجنان) على نور (شمس) سنة (أذن الخبير
روؤف ارحيم) . وآتني في (ليل) وحدتي باخلاص ايماني برسالة (مصحح
الاسلام) . واحي روحي بنسيم (ضياء) بدائع عطائك يا (بدیع) فاكون
مع زمرة حملة القرآن .

اللهم بجاه (سيد الكونين) الذي (شرحت صدره) واقسمت (بين)
لور قلبه المطهر من (علق) الشك . وازلت عليه في ليلة (القدر) بينات
تلامك القديم . فانفجرت له (عين النعم) وفاضت عليه (عين العز) من
خزائن (سعد الله) فاصبح (سعد الخلق) به فوق سعد السعود . ان تثبتني
الى قدم التوحيد يوم (ززال) الارض . وتجري جياذ ايماني مع (عاديات)
السابتين فانجوا من (قارعة) (التكاثف) في هذا (العصر) المملوء بالفساد
الضلال . وتنجني تحت حماية (علم الهدى) بداء (خليب الامم) من
ريل كل (همزة) كما نجيت بابايل اصحاب (القبيل) (قريشا) فكانت
اية مؤذنة بظهور (كاشف الكروب)

استألك يا (باقي) بلا زوال . يا (وارث) الأرض والسماء ان لاتندرنى
فردا . وابّ تطهر (ماعون) قلبي من صدام حب الدنيا بجملاء التوكل
والقناعة . وتهديني الى سبيل (رافع الرتب وعز العرب) .

استألك يا « رشيد » ارشاني « لكوثر » من ايده على « الكافرين »
« بالنصر » والغف « فبت » به يدي ابي لهب وقنع دابر المشركين .

اللهم باسمك « الصبور » الهمني الرضا بفضائك والصبر على ابتلائك
حتى اني « صاحب الفرج » على « الاخلاص » بتوحيده . واعذني يارب
« القلق » من شر « الناس » والوسواس . واعني على ماخلفني له . ولا
تشغلي بما تكلفت لي به . واحيني وامتنني على توحيده وسنة نبيك محمد عليه
الصلاة والسلام والايمن بجميع انبيائك ورسلك وكتبك وملئككتك واليوم
الآخر . واقبل توسلي واستجب دعائي وارحمي ووالدي واولادي واخواني
واخواني وزوجاتي واصهارني ومشايخي واصحابي واصدقائي برحمتك التي
وسعت كل شيء . واجعل اللهم افضل صلواتك . وازكي تحياتك . وبارك
بركاتك . واطيب سلامك . واعظم رضوانك . على الوسيلة العظمى .
والواسطة الكبرى . الغوث الغيث الغياث . سيدنا ونبينا وحيينا (محمد بن
عبد الله) وعلى آله واصحابه ما توسل بجاهه متوسل . والتجي الى حماء
خائف وموئل . والحمد لله رب العالمين .

كان الفراغ من تأليفه بعون الله وعنايته في المدينة المنورة
في غرة شهر جمادى الاولى سنة الف وثلاثمائة
وتسع وعشرين والحمد لله
رب العالمين

